مقتل هيباشا الجميلة

مسرحية شعرية

مهدي بندق



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

المســـرح العـــربى (١٠١)
سبتمبر ١٩٩٦

مقتل هيباشا الجميلة



سلسلة شهرية
تصدر عن
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الغلاف للفنان : يوسف شاكر

الشخصـيات

١ ــ **ليون** : عميد جامعة الاسكندرية

٢ ــ **رامون** : مدرس بالجامعة

٣ ــ **مونيو** : مصور شاب وعضو جديد بهيئة التدريس

٤ ــ **هيباشا** : أستاذة الفلسفة وابنة ليون

٥ ــ **زينوس** : امبراطور بيزنطة

٦ ــ **بومباس** : ابن عمه وحارسه الخاص

٧ ــ **كمالوس** : أسقف كنيسة الاسكندرية

٨ ــ **أورينت** : نائب الامبراطور وحاكم المدينة

٩ ــ **ميلاني** : زوجته

١٠ ــ **خله** : صياد سكندرى

١١ ــ **ايليا** : راهب غامض الهوية

١٢ ــ **هارون** : طبيب يهودى وعضو تنظيم القابال السرى

١٣ ــ **سالم** : صياد عجوز

١٤ ــ **رزق** : صياد سكندرى شاب

١٥ ــ **بولونيوس** : مسئول التنظيم السرى لجماعة فيثاغورس

١٦ ــ ضابط رومانى ضخم

١٧ ــ حارس باب القمر

ورهبان وشرطة واهالى

الفصـــل الأول

المشـــهد الأول

الـــوقت : اخريات ليلة شتوية من ليالى العصر البيزنطى فى مصر الجانب الأيسر من المسرح مظلم

المنظـــر : غرفة تضيئها شموع ذابلة ، هى غرفة العميد ليون تقطع صدرها نافذة عريضة تكشـــف عن التقاء البحر بالأفق ٠

بين الحين والحين تســـمع أصوات ارتطام الأمواج بصخور الساحل يتخللها صـــوت يئز بانتظام ٠

فى منتصف الغرفة منضـــدة يجلس أمامها العالمان الأشبيان ليون ورامون أمامهما دورق ماء وكوبان وبينهما أوراق كثيرة بعضها يتدلى على الأرض ٠

هما مرهقـــان منهمكان فى اجـــراء عمليات حسابية لا تنتهى . وعلى الحائط لوحة معلقة تمثل صورة شابة جميلة جدا تبتسم بســـعادة غامرة .

فى اقصى اليمين بجـــوار الباب اريكة يرقد عليها الشاب مونيو بادى الاعياء يحدق فى اللوحة المعلقة .

ومن السقف تتدلى خيوط تمســـك ايقونات على هيئة اعداد من ١ الى ٩ .

توجد مكتبة صغيرة فى الركن الأيسر عليها قنينة خمر وطبق به فاكهة .

فجاة يسمع صوت انفجار يتوقف على اثره الأزيز فيهب مونيو مفزوعا يعدو الى الخـــارج مضطربا .

رامـــــون : اسمعت ليون ؟! انفجرت ثانية آلتها

ليـــــون : اكمل ارقامك يا رامون ولا تتوقف ارجوك

رامـــــون : اقسم بالواحد انك لا تدرك حجم الخطر المحدق بفتاتك

ليـــــون : وانا اقسم بالاثنين .. لأصلن ألى جذر اثنين

مونيـــــو : **(من الخارج)** مازالت تعمل فى اصرار

رامـــــون : ابنتك ليون اراها

تتسرب منا مثل الموج على رمل الشاطىء

ليــــــون : ولهذا اصل نهارى بالليل الى أن اجــد الحل
وبذلك لا تهجرنا كيما تعبث ببخار الماء

اكمل ارقامك يا صاح اكمل

(رامون يخرج من جيبه شيئا شبيها بالفليون ، يشعل محتوياته بلهب شمعة نافثا دخانا وناهضا متمشيا)

رامــــــون : اتصورنا ـــ سكان الأرض ـــ خطوطا متوازية
لا تتقابل أبدا . أربع رتب تفرقنا وتدمرنا

اولها الامبراطور الحـــاكم وبطانته وهمو الغرقى فى يم الشهوات

ثانيها : نحن العلماء وهانحن سنهلك خلف الجذر التربيعى لرقم اثنين

والعالمة المسكينة هيباشا استاذة فلسفة التحديث
تتعرض للموت طوال الوقت أمام الماء المغلى

تأمل فى تسيير العربات بآلة « هيرون » الهالك
فى القرن الماضى

اما ثالث هذى الرتب الصماء

فهى الفن .. وفيها يهلك هذا الرسام البارع
مونيو شغفا بابنتك المضربة عن الحب

أما الرابعة ففيها البشـــر العاديون وراء
الأسوار حيث يموتون هناك لأسباب مختلفة

المأكل والمشرب والنسل المتكرر دوما دون نتائج

اعجزنا حقا أن نتلاقى مثل الطير على غصن واحد ؟!

(اثناء تأملاته تلك كان مونيو قد عاد وارتمى على الاريكة منهكا دون ان يلاحظه الشيخان)

ليـــون : انت تثير كوامن نفسى يا رامون

ولسوف اكرر فى اسف ملتاع

ان فتاتى هذى ليست من صلبى

واكرر ايضا انى اخطات بحق المصريين جميعا

ولعل ضياعى بين الأعداد القدسية

بعض عقاب لى عما اسلفت فواأسفاه !

رامــون : **(بحزن)** عدنا لحديث الأمس المقبض

ليـــون : فاذا لم اجد الرقم الهارب منا

ضاعت هيباشا

وكأنى ابصرها مثل الأوراق تمزقها الريح وترمى فى صفحتها البيضاء الدم

رامــون : انت مريض .. ارجو ان تتذكر هذا

ليـــون : **(لاهثا مستمرا)** حين رجعنا من اثينا بعد سنين كان الواجب أن اعرضـها عند الناس المفقودة اطفالهمو فى أيام النكبة

لكنى احجمت بتأثير امراتى العاقر

فلقد عشقتها المرحومة عشقاً

اذ وجدتها تائهة تبكى فالتقطتها مسرعة
بينا كنا نندفع فرارا من مصر الى اليونان
فتبنيناها ، وثقفناها فى مهد حضارتنا الغربية
كى تخلص للفلسفة العقلية ورياضيات الروح
حتى لا تصبح شاة بين القطعان اذا ما عدنا
لكن .. هاهى ذى تنسل الى عالمهم
هذا المصطخب الموار كما انت وصفت

رامـــــون : هل يعنى هذا انك ستبوح لها بهواجسك ، اذا ما انت يئست من الأرقام ؟

ليــــون : ليس مناص يا رامون

بل انى كنت حريا أن اتكلم معها مذ رحلت عنـــا امراتى

لكن غلبتنى عاطفتى والأمل المتجدد فى الأعداد القدسية

والآن اراها تتحرك يا رامون بعيدا

ماذا لو نجحت فى تنفيذ الآلة ؟!

لابد ستدخل فى قلب الأحداث اليومية

لكن ستعامل كغريب بينا هى واحدة منهم

رامـــــون : انت تخذت قرارك فيما يبدو

ليــــون : لا يا رامون

فأنا لم أفقد بعد يقينى أن الأعداد هى الحل

رامــــون : هيباشا لم تأت بتصميمات العالم هيرون من المخزن الا بعد الاخفاق الواضح من جانبنا

ليـــون : **(بغضب)** لن نتبنى رؤيتهم

لاله يتوسل كى يعبده شعب مختار

او لاله يرضى باراقة دمه فوق صليب عباده

تلك روايات الفها الكهنة

وتبناها الحكام لأغراض سياستهم

اما نحن فلا نعترف ســوى بالعقل ، وكينونته البشرية

هيباشــا : **(داخلة ، متســخة الثياب ، وفى يدها عباءة حمراء ، قائلة)**

ليس العقل هو الأفكار مجردة يا ابتاه

لكن قيمته فيما يفعل

فاذا عاون هذا العقل الناس ليحيوا ..

ادى من ثمة دوره

او هو مثل وعاء فارغ

(وتلفه بعباءتها فى حنان) هل تفهمنى ؟

ليس الحق هنالك خلف الملموس يلاعبنــا مثــل

السحرة وحواة الأرياف

العكس تماما فيما أبصرت

اعنى أن حقيقة هذا العالم

مشروع نصنعه — نحن البشر — كما لو كان بناء يرفع جيلا عن جيل

ضع فلسفة ارسطو فى راسك

لكنك لا تحيا بالراس فحسب

يحتاج الجسم ليأكل ، أو ليس كذلك ؟

حسنا .. هيا روض نهرا مثل النيل ، وضـــع بذرتك على ضفته السمراء

وابن بيوتا للناس لتثبت انك بناء خالق

ليـــــون : **(هامسا لرامون)** ارايت الى مصريتها الموروثة ؟!

مونيـــــــو : **(هامسا لنفسه)** وجهك يصـــطاد الضوء من الآفاق العلوية فمتى أصطادك يا فاتنتى ؟!

(شعاع من الشمس يبدأ فى التسلل وهيباشا تقترب من النافذة تتأمله بشاعرية وتلقائية . من الجانب الأيســـر يرى الامبراطور زينوس مقتربا ومعه حارسه العملاق بومباس . ورامون يلمح مونيو فينزعج بشدة)

رامـــــون : ما هذا ؟! مونيو يرقد فى الركن ؟! متى عاد ؟! أخشى انك افضيت بسر فتاتك فاستمع اليه

ليـــــون : تلك اذن كارثة اخرى !

هل تعرف شيئا عن أخلاقه ؟

رامـــــون : ليس كثيرا فهو جديد بين الأعضاء كما تعلم

هو مفتون طبعا بفتاتك لكن ....

هيباشـــــا : **(عائدة بابتسامة مشـــرقة تنحنى تتأمل أوراق الشيخين)**

ارنى ارقامك يا أبتاه

لا أبصر أى جديد عندك

بينا تجربتى فى المعمل تتقدم

وبخار الماء سيصبح قوة دفع ،

فتحرك سفنا فى البحر وعربات فوق الأرض

وتذيب حديدا ونحاسا

وتقيم مصانع للغزل وللنسج

وستبنى للفقراء بيوتا عالية فى كل مكان

بومبـــــاس : **(امام الباب الخارجى)** أحوال يا مولانا عادية

الامبراطــور : فوق السطح فحسب

لم يبن الاسكندر هذى البلدة عبثا بين الساحل والنيل

هى قلب العالم يا بومباس

اى ان الأسرار هنا فادخل خلفى وانظر ماذا أفعل وتعلم

(اثناء هذا الحوار تكون الريح قد هبت بشـــدة وانشغلت هيباشا بابيها تلفه بالعباءة وتشاكسه ضاحكة)

هيباشـــا : أرأيت الارقام وكيف تفر أمام الريح ؟!

لكن الآلة ان وجدت سوف تمثل يا أبتاه

تحريرا للانسان من الفقر المادى

وكذلك من فقر الروح

دعنا نتخيل كونا يخترع الانسان الآلة فيه

ستقوم الآلة بالعمل الشاق

بينا يتوفر للرجل وللمرأة وقت للحب

للعامل وقت للفكر

للزارع وقت كى يتعلم فيه الشعر

ووقت للبحث العلمى لمن يتعاطى الفلسفة النظرية
ووقت لاعادة تنظيم المجتمع البشرى

ووقت لاعادة ما يتمخض عنه التعديل بتعديل آخر

الامبراطـــور : (**داخلا**) أى هراء هذا ؟!

هيباشـــا : (**بدهشة**) زينوس ؟!

الامبراطـــور : لم افهم مما قلت سوى تعليم الشعر

فأنا علمنى بعض الأعراب القول الموزون

فكتبت الآتى قبل مجيئى لكمو

(واضح انه مهرج متعمد ، ولذا فهو يقف على احد المقاعد منشدا)

ولرب دار لم ينم أصحابها بعد

فأتيتها مثل الردى والفجر منقض

(وينزل قائلا كالمعتذر)

لكن قافيتى ليست منضبطة

فيها اكفاء .. هل يعرف أحد منكم ما الاكفاء ؟

هياشـــــا : **(باحتقار)** طبعا نعرف

فالدال اليونانية غير الضاد العربية

الامبراطــور : أحسنت القول فأنت الشاعرة النحريرة مذ كنا نتعلم

لكن .. من هذا الواقف يتعبد وجهك ؟

رامــــــون : **(منحنيا)** هذا مونيو يامولانا

استاذ التصوير الشاب

(ومشيرا له الى اللوحة فى اعجاب)

اول من صور وجه الانسان على هذا النحو الرائع

الامبراطــور : آه .. هل هذا وجه امرأة ياسيد مونيو ؟!

مونيـــــــو : **(مستاء)** اى سؤال هذا ؟!

الامبراطــور : أعترف بأنى لم أشهد أسلوبا فى الرســم كهذا الأسلوب

رسم يكشف عن عاطفة يائسة جياشة

(ولؤم) فيه ضباب لونى ومساحات فراغ تنبىء

عن عقل فارغ

من صاحب هذا الوجه ؟

لا .. لا تتكلم .. دعنى اكتشف بنفسى

(وناظرا لهيباشا) هذا وجه امراة متوحشـــــة الأعماق ، مقاتلة من عصر ولى قبل العصـــــر الرومانى

مونيــــــــو : **(مستفزا)** بل حورية

الامبراطــور : فى نظرك أنت فحسب

(وملتفتا الى رامون فجأة) اما أنت فأستاذ التاريخ كما أتذكر

رامــــــون : انى أعتز بهذى الذاكرة الملكية.

الامبراطــور : **(مزيحه جانبا بفظاظة)** فلتعتز ولكن لا تحجب عنى الشمس

ليــــــون : **(وكان قد وقف بصعوبة)** أهلا بجلالتكم

فى جامعة شرفت بدراستكم فيها

الامبراطــور : **(جالسا مكان العميد بوقاحة)** لا أهلا أو سهلا مذ جئت مدينتكم تلك الملعونة

وأنا أنشق من الغيظ

لى فيها يومان ولا أسمع الا ما يغضب ويثير

حتى لون بصاقى فى بيت الوالى لا يعجبنى

كان بلون القشدة فى بيزنطة

فاسود هنا لا أدرى كيف

هيباشـــــا : ذكرنى ان ندرس هذى الحالة فى معملنا يا مونبو امبراطور مجتر ويميز أيضا بين الألوان

بومبـــــاس : **(صائحا)** ماذا تقصد هذى المراة ؟

هيباشـــــا : هذى لغة العلم فلا تتضايق يا زينوس

الامبراطـــور : **(بابتسامة صفراء)** بالنسبة لى فأنا استخدم لغة الهجر حين تظن امرأة انى أعشقها

هيباشـــا : **(بهدوء)** وسندرس أيضا حالة رجل معتوه

يتصور أن نساء العالم لا شغل لهن سواه

بومبـــــاس : **(يكاد يجن)** من تلك المراة يا امبراطورى ؟

كيف تواتيها الجراة كى تشـــــــتمك بغير اللقب الرسمى ؟!

الامبراطـــور : **(بسماحة)** لا تغضب منها يابن العم فنحن زميلان قديمان

(ولهيباشا) ولهذا لست أحاسبك على شىء

مثلك مثل مهرج قصرى فى بيزنطة

أو لست مهرجة ياهيبا ؟!

لهذا أنت تسيرين بتلك الأسمال البالية المتسخة؟!
لكن ما شأن عميد الجامعة بتهريجك يا أختاه ؟!
ولماذا يرضى أن يتسربل فى ثوب نسوى ؟

ليـــــون : **(محرجا)** تلك عباءة هيباشا

الامبراطـــور : **(مبتسما فجاة)** آه .. تلك عباءة هيباشا !

انت اذن اجمل انسان فى هذا العالم يا استاذى

مونيــــــو : **(لرامون بفيرة)** هذا النذل يغازلها علنا

بومبـــــاس : **(للامبراطور مغتاظا)** انى كشقيق للامبراطورة احتج بشدة كيف تقارن هذى .. بالبدر الساطع فى بيزنطة ؟!

الامبراطــور : **(يجأر)** بدر محاق يابن العم

« أبلتك » الامبراطورة بدر محاق .. هل تفهم ؟

هيباشــــا : **(تغيظ بومباس)** أفهمت اذن يا أبله ؟!

(وتخرج من جيب تنورتها منـديلا تبلله من ماء الدورق وتمسح خديها برشاقة ناظرة فى مرآة صغيرة اخرجتها من جيبها الآخر وهى تبتسـم لبومباس لتغيظه أكثر .

أما الامبراطور فبدوره يخرج من جيبه كأسا ذهبية صغيرة يصب فيها من محتويات القنينة بينما يقذف تفاحة الى بومباس)

الامبراطــور : ضع هذى اللقمة فى فمك المرحاض ولا تتكلم

هيباشــــا : **(صائحة ببومباس)** أفهمت ؟!

الامبراطــور : ما لا أفهمه ياسادة يتلخص فى بضعة أسئلة جادة أولها كيف انحدرت أحوال الجامعة الى أن صارت تستهلك أوراق الدولة فى عمليات القسـمة والضرب

رامــــون : نحن نباشر عملا عقليا لحساب العلم أيا مولانا

الامبراطـــور : **(يعود للجلوس)** ثانى أسئلتى : ما فائدة العلم ؟
اله فائدة ان لم يخدم اغراض الدولة ؟

مونيـــــــــو : هيباشا تسعى لتحدث آلات الدولة

الامبراطـــور : **(مرتشفا الخمر بتلذذ)** ابلغنى الوالى أورينت بما تفعله فى المعمل

لكن هاهى ذى تتسخ بلا فائدة تذكر

جعجعة ثم ولا طحن

التحديث التحديث

لفظ أسمعه فى كل مكان أنتقل اليه

يستخدمه البلهاء النحاتون

والشعراء المرتزقة

ورجال المال الأوغاد يهود مدينتكم

وكذلك صبيان الهندسة الشحاذون

والفلكيون النحس

لم يبق سوى أن يتعلمه بابا روما

والكردينال الخائب عندى فى بيزنطة

(ومشيرا الى غليون رامون الذى كان قد اشعله الرجل ثانية)

هل هذا أيضا من انتاج التحديث ؟

رامــــــون : ادعوه أنا محرقة الأفكار

أهدانيه صديق من تجار الهند

هل يسمح مولانا فيجربه ؟

الامبراطـــور : أكثر أكثر

أعنى انى أمنحك الشرف الملكى بأن أتقبله منك هدية

أحسن أم لا ؟

(وينتزعه من راهون يجذب أنفاســـــا) قطران ومصيبة !

لم يسألنى أحد منكم لم لم اذكر هذا الأنبا كيمالوس **(ويسعل بشدة)** شيخ كنيستكم ياسادة

لا شأن له من قرب أو من بعد بالتحديث

هو رجل لا ينظر الا للماضى

لكن النظر الى الماضى خطــر مثل النظــر الى المستقبل

فالاثنان يديران الظهر لحاضر دولتنا

وأصارحكم أنى ما جئت سوى لأقص جناحى هذا الأنبا

وأحطم نابيه الزرقاوين

وأعلق فى رقبته جرسا من لهب ودخان

فالفتن اشتعلت بتطرفه ومعارضته

وانا اخشى ان يأكل أعمدة الدولة سوس الغوغاء
فذروا هذا العبث العلمى وهاتوا يدكم فى أيدى
الدولة

ليـــــون : دولتكم يا مولانا مؤمنة بديانة عيسى

الامبراطـــور : رســــــميا

(ويسعل بشدة فيتشجع العميد ويعلو صوته)

ليـــــون : رسميا أو فعليا هذا أمر لا يعنينا

وخلافات الأنبا وجلالتكم ليس لنا أن نتداخل فيها
اذ نحن أناس وهبوا أنفسهم للعلم البحت

الامبراطـــور : **(بنعومة)** قل لى يا أستاذى العالم ليون

من فى ظنك يدفع نفقات العلم وأجر العلماء ؟

ليـــــون : مبلغ علمى ...

الامبراطـــور : **(مقاطعا)** مبلغ علمى المتواضع أن الأحمق زينوس
هو من يدفع تلك النفقات

ليـــــون : هذا حق لكن ....

الامبراطـــور : .... لكن من يلطم خدى الطم عينيه

أم تحسبنى نصرانيا حقا ؟!

(ويرفع ابهامه للحارس الذى يبادله الاشـــارة منتشيا)

هيباشــــا : نحن نراك كما أنت بلا تزويق يا زينوس

الامبراطـور : **(بنفخة دخان من الغليون)** نفس الفاتنة الوقحة
لكنى اقبل تعريضك يا آنستى

(وبلهجة اخرى خبيثة) آنسة ؟! ام ان الاعوام الماضيـة السـبعة انتقلت بالعفة فيك الى لقب آخر ؟!

هياشـا : نفس الشاب الماجن ذى العقل المحدود

حتى بعد الأعوام السبعة فى منصب امبراطور

الامبراطـور : **(متجرعا محتويات الكأس دفعة واحدة)** انت اصبت تماما

فأنا امبراطور من حيث وظيفتى الرسمية

أما فى أوقات فراغى

فأنا ابن للحارات

أو لم أحيا فى حى السيالة

وتشاجرت بكل الحانات وصـاحبت الصـيادين و....

هياشـا : **(تقاطعه باحتقار)** نعرف تاريخ ضياعك خيرا منك

ليـون : **(متنحنحا)** ماذا يطلب مولانا تحديدا من جامعة الاسكندر ؟

الامبراطـور : أن ... تتنصر

ليـون : تتنصر ؟!

الإمبراطـــور : **(وهو يجذب أنفاسا)** أحسن ام لا ؟!......

ليــــــون : لكن جدك زينوس الأول أعطانا استثناء خاصا
كأساتذة للبحث العلمى

الامبراطـــور : **(يتأمل الغليون بضيق ثم يلقى به جانبا)** رامون
خذ لعبتك فانى لا أرغب فيها

واستخدمها حين يصيبك امساك او ما اشـــــبه
(وللعميد) جدى الراحـــل قابلنى فى نومى ليلة
أمس وألح على بأن ألغى هذا الاستثناء

(وصائحا) الكل يصير مسيحيا منذ الآن وبالأمر
ثمة مؤتمر قد أعددنا عدته فى بيزنطة

والدولة هذى المرة لن تسمح للغوغائيين الجهلاء

رهبان مدينتكم ـــ أعنى ـــ أن ينتصروا ثانية
تذكر « نيقية » بالطبع

مذ فرضت كاتدرائية هذا البلد الملعون عقيدتها
فى ذاك المؤتمر الملعون

وضرائبنا تتقلص **(وبصوت عال جدا)** تتقلص
فلقد فتح بطاركة مدينتكم أبواب الرهبنة الملعونة
لسراة المصريين

فانتعشت وتحالف معها التجار وأصحاب السفن
الضخمة صارت تمتلك حقولا وأراضى وعقارات
(وزاعقا كالمجنون) صارت أغنى

فيما افتقرت دولتنا لثراء الماضى ونفوذه

كيف ترانا نتصرف لو فازت هذى الكاتدرائية فى المؤتمر القادم ؟!

هل نتسول قمح الدولة من مصر الملعونة هذى ؟!
(وبنعومة مفاجئة) لكن .. لو ان الجـــامعة اشتركت كمسيحية

لانقسم الوفد المصرى وهزم بلا شك

عندئذ ينصرف المصريون عن الأنبا كيمالوس

حين يعود اليهم بقرار الحرمان من المؤتمر العام
(الأســـاتذة يتبادلون النظرات المذهولة عدا هيباشا التى تقول بمكر)

هيباشــــا : لكن ماذا لو أن المصــــريين ارتبطــوا اكثر بكنيستهم ؟

الامبراطــور : جاهلة يا استاذة

المصريون بفال لا ينقلبون على راكبهم حقا

لكن لو سقط عن الظهر لداسوه جميعا

هيباشــــا : ليس المصريون كذلك الا فى نظر الحمقى

(وبحزن مفاجىء) أنت لا تعرف مصرا

الامبراطــور : **(ساخرا)** كيف أجهل موضعا قد عشت فيه ؟!

هيباشــــا : زائرا لا صاحبا للبيت أو ابنا له

رامــــون : **(متشجعا)** انت اصغيت لكهان اليهود الحاقدين فضللوك

مونيـــــــبـــــو : (**متشجعا**) ذاك رايى فى كلامك

بومبـــــــاس : (**شاهرا حسامه**) كلكم ضد مليكى ؟!

الامبراطـــور : ضع حسامك فى ثيابك ياحمار

انهم اهل الثقافة

ليـــــــون : (**برصانة**) والثقافة لا تعادى ان اردت الحق
أصحاب العقائد من نصارى أو يهود أو مجوس
انما لا تنتمى الا لعلم غير مختلف عليه

الامبراطـــور : فليكن .. ولتبحثوا عن جاهل غيرى يسدد اجركم
(**ولبومباس**) احسن هذا أم لا ؟

بومبـــــــاس : (**بحماس**) أحسن طبعا

الامبراطـــور : انى أريد العلم يخدم دولتى

لا أن تكون لطلعة العلم البهى المرضعة

(**ولبومباس**) أحسن ؟!

بومبـــــــاس : احسن جدا .

الامبراطـــور : فكروا ولتنبئونى بالقرار

قبلما امضى الى الشام غدا

(ويســـتعد للخروج بينما يقترب منهم بومباس قائلا)

بومبـــــــاس : ويلكم منى اذا ما عدت يوما

فحسامى ليس يعرف ما الثقافة

هيباشـــــا : (**تزيحه جانبا بازدراء**) زينوس .. قف واسمعنى

لن تعلن تلك الجامعة سوى الايمان بعقل الانسان
ولقد فصلت — منذ بدايتها — بين العلم وبين
الدين بين الاثنين وبين الأعيب الساسة

الامبراطــور : ذاك مثلثنا الذهبى

لكنك أنت وقفت على ضلع واحد

أما الامبراطور فمعنى بالضلعين الأكثر تأثيرا فى
أبنية الدولة

فسياستنا ليست تخضع بالطبع لأحكام الدين

مع ذلك فالدين سياسة

هيباشـــــا : من منا أولى بصفات التهريج ؟!

الامبراطــور : نحن الاثنين نهرج

لكن تهريجى ذو منطق

وسأشرح لك هذا المنطق يا هيبا

نحن نجارى النصرانيين بأسلوب خاص

كى نجبرهم أن يلتزموا بنداء يسوع

« دع للقيصر ما للقيصر »

ذلك أن الأنبا ، هذا الرمح المغروس بجنبى ،
يذكر لرعاياه الآية فى الصلوات فحسب
بينا دعوته للاستقلال عن الغرب تقول

« هيا نقطع شريان القيصر يا أبنائى »
هل يرضيكم هذا ياسادة ؟

هيباشـــــا : الاتباع هم الاتباع بكل مكان لا تنفعـــك زيادتهم فاتركنا أحرارا يازينوس أفضل لك

الامبراطـــور : الأفضل لى أن يتبعنى الناس جميعا

(وللعميد) موعدنا عند الوالى اورينت

قبل دخول الشمس الملعونة زنزانتها اليومية

بومبـــــاس : **(صائحا)** أفهتم ؟!

(ويخرج وراء الامبراطور بينما تختفى الشـــمس ويسمع صوت الرعد)

مونيـــــــو : **(مغموما)** هل ترانا سوف نرضى أم نعارض ؟

ليـــــون : نحن صرنا فوق درب الاختيار

لا مناص من اتخاذ قرارنا الآن وفورا

ولسوف أدعو الآن مجلسنا الموقر

هيباشـــــا : ان دعوتم مجلسا ليطيح باستقلال هذى الجامعة فانعتوه — سوى الوقار — بأى نعت

رامـــــون : هل تريدين الهلاك لنا اذن ؟

هيباشـــــا : بل أريد لمجدكم ان يستمر الى الابد

رامـــــون : اى مجد تبتغين اذا تشردنا جميعا ؟

ذاك مونيو سوف يعمل ساقيا فى حانة

مونيـــــــو : **(مغموما)** أو أحيك ثياب روما

عند ترزى يهودى لئيم

رامــــــون : وانا ــ لعلى لو رفضنا ــ

ادفن الأموات فى كوم الشقافة

مونيــــــو : والعميد ليون هذا

هل سيقضى العمر يشقى عند نساخ الكتب ؟!

ليــــون : (**برصانة**) انى أدعو المجلس كى يجتمع الآن

أبلغ بولونيوس يامونيو

اتجيئين معى يا هيبا ؟

هيباشــــا : لن أحضر هذى الجلسة أبدا يا أبتاه

ليــــون : قد نتخذ قرارا يرضيك

هيباشــــا : تعنى يرمينا فى القبو السرى لأعوام عدة

ليــــون : سنناقش كل الآراء هنالك فى المجلس

فتعالى كى نستمع لرايك يا هيبا

هيباشــــا : أولى بى فى تلك الساعة

رمل الشاطىء وهدير الموج

ليــــون : أخشى أن تشتد الريح فتأخذك بعيدا

هيباشــــا : ماذا تعنى ؟

(العميد يضع يده على قلبه بالم فتهرع اليه قلقة)

هل تشكو قلبك ثانية يا أبتاه ؟!

(فيبتسم هو لها مهدئا)

ليــــون : مادمت تصرين فانى أمضى معك قليلا

ساحدثك بشىء هام للغاية

(يخرجان)

رامـــــون : ما رايك يا مونيو فيما ستفجره هيباشا ؟

مونيـــــو : قلبى معها

لكن حين اراها تتحدى الدولة أنكمش بجلدى
ماذا تحسب سر كراهية الامبراطور لها ؟

رامـــــون : الشىء اذا زاد عن الحد انقلب الى الضد

مونيـــــو : تعنى أن الفاجر هذا كان يحب زميلتنا ؟!

رامـــــون : وكذلك كانت تعشقه

مونيـــــو : ما أضيعنى ان لم ترنى وتحس بعاطفتى
(وبحزن) أنظر كيف اختفت الشمس بلا انذار

رامـــــون : اخشى أن الصفر سيعلن فينا عن نفسه

مونيـــــو : **(واجما)** ماذا تعنى ؟!

(يلمع البرق ثم يسود الظلام)

المشـــهد الثـــانى

صوت جياد تركض

مع رفع الستار الخلفى يرى ساحل البحر والشمس تسطع فوقه ينقسم المسرح طوليا الى قسمين تفصل بينهما ربوة رملية .

الى اليمين كوخ الصياد « خله » حيث نرى الصياد جالسا

على فراشه ، أمامه منضدة صغيرة عليها طبق نحاسى فارغ وكوب به ماء وترى شباك الصيد معلقة على الجدران .

الى اليسار طريق رملى يتقدم عليه الامبراطور مرتديا ثوب اعرابى وقد وضع لثاما على وجهه يتبعه حارسه الضخم فى مثل ثيابه .

الامبراطور يشير الى حارسه بالتوقف

بومبـــــــاس : كان بامكانى تدبير مكان أكثر أمنا

الامبراطــور : هذا الكوخ أنا اعرفه

أكثر مما أعرف قصرى فى بيزنطة

هل اكدت عليها أن تأتينى فى هذا الموضع ؟

بومبـــــــاس : واندهشت جدا لكن وعدت بالتنفيذ

الامبراطــور : هذا أحسن .. ويطابق أفكارى الفذة

بومبـــــــاس : **(شاكيا)** أفكار أفكار .. ما الأفكار ؟

اســـمع نصـــحى .. أقتل أعداءك وانس تعش مرتاح البال

الامبراطــور : **(يضحك)** كم أنت بليد مبتور المخ بأكثر من موضع كونك أنت قريبى وشقيق امرأتى

لا يجعل منك وليا للعهد

الا أن تتعلم فن المكن

مثلا هل تتصور أنى الهو أو أهمل أمنى ،

حين أروح وآتى مثل الناس العاديين ؟!

بومبـــــــاس : انى لا اتصور بل ابصر

الامبراطـــور : بصر دون بصيرة

انى ياهذا الجاهل أتحرك مثل العالم حين يلف، **بمعمله**

ليشاهد بالعينين نتاج التجربة الخطرة

هل يرضى هذا العالم أن يلقى فئران تجاربه

للقطط الجوعى من أمثالك ؟

(بومباس ينكس رأسه مخذولا فيلكمه الامبراطور ضاحكا)

أما عن أمنى

فأنا اضمنه حيث ورائى أقوى رجل فى مملكتى
(فيشرق وجه بومباس ويهتف رافعا حسامه)

بومبـــــــاس : بالروح .. بالدم .. أفديك يا امبراطور

الامبراطـــور : ذكرنى أن نعتمد شعارك هذا رمزا للحاكم

كى تلتزم به الأجيال

والزم انت مكانك خلف الربوة

أما حين تجىء المرأة هذى الملعونة

فتوقع ساعة حب رائعة للامبراطور المسكين

المهموم طوال الوقت بغازات الدولة

ذات الرائحة النتنة

(وصائحا فيه فجاة) من حقى

بومبـــــــاس : طبعا يا مولاى ولكن ....

الامبراطـــور : ضع « **لكن** » هذى عند نهايتك السفلى

واطلق رعد البطن

(ويتقدم نحو الـــكوخ وما يلبث ان يعود الى بومباس قائلا)

هل تعلم انى أتمتع بمزاج مصرى ؟

بومبـــــــاس : تعنى أنك تتقلب مثل الجو بأمشير

الامبراطـــور : تعجبنى

لكن يعجبنى اكثر أن أتقابل وامرأة فوق فراش خشن مثل رعاع الناس

(وهامســـا فى أذنه) أن تختلس القبلات كما يختلس الثعبان دجاج الفلاحين

أن تهمس فى أذنيك امرأة ،

بكلام منحط لا يمكن أن

تسمعه من زوجتك الفاضلة الرسمية

أن تبعث فيك لذائذ شيطان مجنون

شىء لا يمكنك التفريط به يا بومبا

(ويتحرك ثانية فيصيح به الحارس محتجا)

بومبـــــــاس : أجدادك كانوا آلهة يامولاى

الامبراطـــور : **(وهو ماض غير مكترث)** حبسوا أنفســـهم مى وهم صنعوه

(ويركل باب الكوخ بقدمه واثبا داخله مســـتلا حسامه)

الامبراطـــور : قف وارفع فوق الكتفين ذراعيك

خـــــله : **(مصعوقا)** قاطع طرق فى بيتى المتهدم ؟!

الامبراطـــور : انهض فورا وائت الى بأموالك

خـــــله : **(ينهض متحسرا)** أموالى ؟!

الامبراطـــور : ايه ؟! لا تملك أموالا ؟!

لا بأس عليك اذن يا خله المسكين

(ويضع الحسام فى غمده مرتميا على الفراش ببساطة)

خـــــله : من أنت ؟!

الامبراطـــور : **(مخرجا من جيبه صرة دنانير يخشخش بها)** حسنا حسنا مادمت اذن لا تملك أموالا فأنا أعطيك

(ويقذف له بالصرة ليلتقطها الرجل مذهولا)

خـــــله : من أنت ؟!

الامبراطـــور : **(كاشفا عنه اللثام مقهقها)** أو لا تعرفنى ؟!

خـــــله : لست أصدق عينى

الامبراطـــور : بل صدق .. صدق يا خله

انى لأراك فقيرا مالا وخيالا

خـــــله : بل اكثر فقرا يا مولاى

الامبراطـــور : آه أعرف أعرف

مازال البحر هو البحر

والسمك الهارب نفس السمك الهارب

والشبك المقطوع هو الشبك المقطوع

(**وينقر على الطبق النحاسى**) والطبق الفارغ لا يحلم بملامسة اللحم

ورجال الدين يقولون لكم صبرا يافقراء

فلكم جنات الآخرة اذا ما لذتم بالصبر

بينا هم يبنون قصورا فى الأولى الفانية الدنيا (**وبلهجة متآمرة**) ما رأيك لو نكشفهم يا خله ؟

خـــــله : نكشف من ؟

الامبراطـــور : (**صائحا**) أعضاء التنظيم الدينى .. رجالا ونساء هم يا خلة طبقة

تخدعكم بفضيلتها وترفعها

وتعاملنا نحن المدنيين معاملة الحشرات الأشرار (**وهامسا له**) بعد قليل سوف تجىء امرأة منهم سأعريها ، وأمرغها فى الوحل

طبعا كان بامكانى أن آخذها لمكان افضل

لكنى فكرت بأنك كنت صديق مراهقتى

قوادى فى تلك الأيام الماضية الحلوة

قلت لنفسى : فلأضرب عصـــفورين بحجر واحد
أكسبك دنانير أراك شديد الحاجة لملامسة الفضة
فيها

والعصفور الآخر :

انزالى بكرامة نسوتهم فى هاوية الخزى ،

واشهادى اياك عليهن

خـــــــله : تعنى أن امرأة راهبة ستوافيك هنا ؟!

الامبراطــور : (**بمرح**) اتصدق ؟!

أرسلت لها مكتوبا ورسولا مخصوصا

ولسوف تجيء خلال دقائق

فتصور صدمتها حين تشاهد هذا البربخ

أعنى بيتك

هى من تمشى بين الناس فتختال بهيبتها وفضيلتها
(**وينفجر مقهقها كالشيطان**)

خـــــــله : (**بوجوم**) لا احسب هذا سوف يتم

الامبراطــور : اتراهننى ؟!

طيب .. ما رأيك فى أن تذهب وتراقبنا

من فتحة هذا الباب ،

وحين تراها تخلع آخر قطعة

صفر مثل الريح لأعرف أنك صدقت

تعرف طبعا كيف تصفر

خــــــله : لا . .

الامبراطــور : كيف نسيت الصفارة ؟!

أنظر . ضع ابهامك والبنصر تحت لســــــانك ،
وانفخ مثلى

خــــــله : لن يحدث

الامبراطــور : ترفض أن تتصور راهبة تفجر ؟!

كنت اظنك اذكى من غيرك

هل تربط بين الأزياء وبين الأخلاق ؟

خــــــله : انى لا اهتم بأخلاق الغير

الامبراطــور : وبماذا تهتم اذن ؟

خــــــله : بامراتى

الامبراطــور : اتزوجت ؟! اين اذن هذى الزوجة لأراها ؟!

خــــــله : ماتت يا مولاى

ماتت من غسلت جهلى وثيابى
وملاءات سريرى وسريرة نفسى
كيف تظن اذن أنى أسمح بعد . . .
لامراة زانية أن تتمرغ فوق ملاءتها ؟

(وبغضب يلقى اليه بصرة النقود)

فى أيام عزوبيتنا

ما كنت أنا قوادا لك

بل كنت صديقا

لم أر فيما كنا نفعله دنسا

بل لهو شباب متمرد

كنت أراك أميرا يتقرب من شعب يحكمه

(وبكبرياء) وتذكر أنى كنت اقدم سمكا مشويا لجلالتكم بالمجان

الامبراطـــور : هذا يعنى أنك ترفض عرضى ؟!

خــــــــله : أرفض أن أستقبل فى بيتى زانية يامولانا

(يسمع صوت صهيل جواد . فيقترب بومباس من باب الكوخ صائحا)

بومبـــــــاس : وصلت وصلت

خــــــــله : مرها أن ترجع من حيث أتت

بومبـــــــاس : من أنت لتأمرنى يا تافه ؟!

الامبراطـــور : ترتيب لقائى بالمرأة أخذ كثيرا من وقتى ياخله وأنا عند غروب الشمس

سأقابل وفد الجامعة بدار الوالى و ....

خــــــــله : لا شأن لهذا البيت بترتيباتك يامولانا

لن تعبر هذه المرأة بابى الا أن أصبح جثة

الامبراطـــور : تعبير يستخدمه الشرفاء بكل مكان
هل يحكم مملكتى الشرف اذن ؟

بومبـــــاس : **(طاعنا الصياد فى صدره بالسيف)** بل يحكمها الامبراطور

الامبراطـــور : أقتلته ؟!

بومبـــــاس : أحسن .. أم لا ؟!

الامبراطـــور : طبعا لا **(ويواجهه بغضب)**
كان بامكانك أن ترهبه لا أن تقتله
ها نحن فقدنا رجلا كان حريا الا يتقول ضدى
بل ينشر بين الناس حكاية راهبة تفجر
وبهذا تهوى هيبة تلك الكاتدرائية
(وصائحا فى وجهه) من سيقوم بهذا النشـــر الآن ؟

(فيخرج بومباس متضايقا بينما تظهر امراة فى ثياب راهبة وعلى وجهها نقاب ، يقابلها بومباس وهو فى حالة غم شديد)

بومبـــــاس : ينتظرك بالداخل فاجتهدى أن ترضيه .. ،
كى يسكت عنى

(وهى تعبر جثة الصياد التى يسحبها بومباس ويظل يجرها حتى ساحل البحر .

أما هى فتغلق البـــاب وراءها وتبدأ فى تفحص المكان وبغير اكتراث تشـــير الى حيث ذهب بومباس)

الراهبـــــة : ما تلك الجثة ؟

الامبراطــور : صياد كان صديقى ثم تمرد فتولاه الحارس

الراهبـــــة : جثة صـــياد ولقاء فى كوخ مهدوم .. ما معنى هذا ؟!

الامبراطــور : حب بين الأطلال !

ما رايك ؟

الراهبـــــة : **(مبتهجة)** رأيى أنك وغد عابث

الامبراطــور : هذا أمر يعرفه الكل ولــكن بعض جوانب منى لا تظهر فأنا أتفلسف أكثر من هيباشا الأستاذة الفلسفة لديها تعنى حب الحكمة

أما عندى .. **(ويمسك بالطبق النحاسى الفارغ ينقر عليه خفيفا)**

فخلاصتها نشر الفوضى المحسوبة

فوضى لكن فى تنظيم يخضع لى

الراهبـــــة : **(تضحك)** ولهذا تتنكر فى زى البدو ؟

الامبراطــور : حتى أتخفف من أشكال حضارتنا السمجة

فالبدو رجال غريزة

وأنا مشغول هذى الأيام ببحث علمى خاص

وأريد جوابا تجريبيا لسؤال تجريبى

« من .. يخلع .. قبل الآخر .. ثوب تنكره

الراهبة أم البدوى ؟! »

الراهبــــــة : عن نفسى فأنا أهتم كثيرا بالجغرافيا

فتضاريسى تنكشف سريعا للعاشق

(وتبدأ فى خلع النقاب ثم الرداء كاشــفة عن شعر ينساب على الكتفين ذهبى اللون وجسد ممشوق القوام يلتف به ثوب يكشــف أكثر مما يحجب)

الامبراطــور : فدعينى أكشف عما تحت السطح الساخن هذا

الراهبــــــة : أو لا تخشى أن تحترق بلهب الأعماق ؟!

الامبراطــور : **(يرتفع بنقراته على الطبق النحاسى صائحا)** بركاتك يا أمبادوقليس

(ويهرع للكوة الصغيرة فى الكوخ يفتحها مناديا) بومبا .. يا بومبا

بومبــــــاس : **(من الخارج يرد ساخطا)** ماذا أيضا ؟

الامبراطــور : تعرف كيف تطبل ؟

بومبــــــاس : **(بصوت متهيج ساخط جدا)** اعمل معروفا فى ودعنى فى حالى ..

الامبراطــور : طيب لا تصرخ .. داهية تأخذ عمرك

(ويغلق الـــكوة عـــائدا الى النقر على الطبق)
سأقوم أنا بالطبل اذن

الراهبـــــة : ايقاعى صوت الريح ودقات الموج

هل تسمعها يازينوس ؟

الامبراطـــور : (**وهو يطبل بشدة**) أسمع .. وارى .. واشم (**فترقص هى بخـــلاعة بينما يترنح الامبراطور مطبلا كالمجذوب**)

واشـــم اشـــم اشـــم

(اظـــلام تدريجى)

المشــــهد الثـــالث

ضوء خافت يتسلل من وراء السحب على الجانب الأيســـــر ترى هيباشا تسير بجانب الساحل فى وجوم تحدث نفسها

هيباشـــــا : أية تلميحات القاها فى القلب أبى ؟!

هاهو ذا معبد سيرابيس يراود مخيلتى

ماذا يقصد بدماء العائلة ونسل الوالد والأم ؟!
وبأطفال تاهوا فى عام النكبة ؟

هل يتغير هذا البحر الملحى فيصبح نهرا
لو تفجؤه الأمطار اللهيبة ؟!

كيف لكف من ظلمات التذكارات الباهتة الألوان

أن تحطم باب العقل فتمرق منه الأشباح وأصوات الموتى ؟!

(صوت جياد يتلاشى بعيدا)

ما هذا ؟! راهبة فوق جواد وكذلك اعرابى ؟!
(فجأة تبصر جثة الصياد على الساحل فتتجمد فى مكانها ثم تتطلع الى حيث مضت الجياد .. بعدها تهرع الى الكوخ)

بقع دماء وبقايا عطر ؟!

ما هذا ؟!

(تتجمد ثانية ويظلم المسرح)

المشـــــهد الـــــرابع

يعود الضوء مسلطا على الجانب الأيمن فقط ،

وكوخ الصياد صار الآن صومعة ، وتمثال العذراء حل محل الشباك المعلقة على الحائط . وانجيل ضـــــخم وكوب ماء على المنضدة بجوار دورق فضى

الأنبا كيمالوس راكع يصلى أمام التمثال

الأنبـــــا : يا أمنا المقدسة

فلتمنحينى قدرة الأسد الغيور على العرين

لأصد عن اشبالك اليوم الوحوش الضارية

ولتمنحينى البرق والرعد المدوى
لأخيف قطاع الطرق
ولصوص واديك الأمين
ولتصفحى عنى اذا لطم الاجانب وجه مصر
فلطمت منهم الف وجه
ولتملأينى كالغرارة بالدقيق ، وباليقين
آمين

ايليـــــا : امراة بالباب تريد مقابلتك يا أبتاه

الأنبـــا : من ذى تكون ؟

ايليـــــا : من هيئتها تبدو مثل اساتذة الجامعة الاغريق

الأنبـــا : اطردها دون تردد

ايليـــــا : هى ....

الأنبـــا : تعرف أنى لا أستقبل وثنيين بمحراب صلاتى

ايليـــــا : هى تتحدث عن مسألة لا تحتمل التأجيل

الأنبـــا : ما لا يحتمل التأجيل هو الموت فحسب

(هيباشا تقتحم المكان لاهثة غاضبة)

هيباشـــا : وعقاب القاتل والزانى .. أيضـــا لا يحتمل التأجيل

الأنبـــا : **(صارفا ايليا الذى يخرج ويتسمع عند الباب)** ما الأمر ؟

هيباشـــــا : راهبة من اتباع كنيستكم

اشتركت منذ قليل فى مقتل صياد

الانبـــــا : راهبة ؟!

هيباشـــــا : وانفردت فى كوخ المسكين برجل اعرابى زان

الانبـــــا : لولا انى فى محراب صـــــلاتى لأمرت بجلدك يا هذى ..

هيباشـــــا : (**بكبرياء غاضب**) ليس لمصرى أن يجلد اغريقيا حسب القانون

الانبـــــا : (**كاظما غيظه بشدة**) ولماذا لم تبلغ ســــيدتى المتعلمة الشرطة ؟

هيباشـــــا : (**تهدأ فجاة**) تقديرا منى لنيافتكم

اذ لولا أن المراة راهبة ما جئت اليكم قبل ذهابى للشرطة

لكنى سوف أبلغ أورينت الوالى بالطبع !

ولمصلحة نيافتكم أن يدعم قولى ببلاغ منكم

الانبـــــا : تهديد هذا ؟!

هيباشـــــا : بل تحذير مخلص

الانبـــــا : (**يتمشى غاضبا**) هل استأذن سيدتى أن ننتقل من الراهبة الى المقتول ؟

أعنى صيادك هذا .. اتصوره وثنيا مثلك

هيباشـــــا : (**صائحة**) من أدرانى ؟! ماذا يعنينى فى هذا ؟!

الأنبـــــا : هو يعنينى كرئيس للكاتدرائية

صلواتى ومباركتى ومكان الدفن

تلك حقوق للمؤمن لا ريب

أما الوثنى فلا شأن لهذا الكرسى به

(ويجلس راضيا أنه أثارها)

هيباشـــا : اللعنة

الأنبـــــا : لا لعنات فى بيت الرب

ولتنصرفى يا امرأة لم تتعلم أدب الايمان ،

هيباشـــا : كنت اظن كنيستكم تأبى أن تفلت زانية أو ينجو قاتل

الأنبـــــا : **(محدقا فيها)** ما اسمك ياسيدتى

هيباشـــا : اسمى هيباشا . وأنا أستاذة علم الفلســـــفة بجامعة الاسكندر

الأنبـــــا : **(يزأر)** العلم الحق هنا فى هذا الانجيل

هيباشـــا : لا اتحدث عن علم مطلق

بل عن علم يدرس أحوال الدنيا

الأنبـــــا : الدنيا كاذبة ومضللة كسراب الصحراء

هيباشـــا : مع ذلك نحياها ونحاول أن نجعلها افضل

الأنبـــــا : هذا ما سوف تؤديه دراستنا لكتاب الله

هيباشـــا : قيل لنا انك وطنى مخلص

فأجبنى .. هل سيحل الانجيل مشاكل هذا البلد اذن ؟!

هل سيحل مشاكل فلاحيه مع الأرض ؟!

وصياديه مع البحر ؟!

والعمال مع الآلات وأصحاب مصانعهم ؟!

هل يمكنه أن يتدخل فى تحديد الأسعار ؟!

كيف تراه يحل تناحر طبقات الأمة ؟!

كيف يعيد الصـــــياد المقتول الى منزله المنتهك الآن ؟!

الأنبـــــا : **(بعد صمت)** لو كنت قرأت الانجيل . . .

هيباشــــا : اكثر من مرة

الأنبـــــا : بالعينين الباردتين وليس بقلب المؤمن

لو كنت قرأت كتاب الله كما يقراه أبناء الله

لعلمت بأن يسوع له احياء الموتى ان شاء

مكتوب هذا فى الانجيل **(ويشــــير الى الكتاب بقوة)**

هيباشــــا : وكذلك مكتوب فى الاصحاح الثالث فى نسخة مرقص

« ان ينقسم البيت على نفسه

لا يقدر هذا البيت على أن يثبت »

فلماذا انقسم الأتباع الآن على أنفسهم

نسطوريين ويعقوبيين وآريوسيين

فرقا تتناحر ويكفر كل منها الأخرى ؟!

مكتوب أيضا فى الاصحاح الخامس فى نسخة متى

« طوبى لكم

اذا عيروكم وان طردوكم

وقالوا لكم كل سوء »

فلماذا تسعى أنت لتنتصر هنالك فى المؤتمر القادم فى حين يسوع يقول :

« طوبى للودعاء »

الأنبـــا : أنت عميلة روما أو بيزنطة

هيباشـــا : لن يثنينى هذا الارهاب الفكرى عن البحث

فلنجعل مقتل هذا الصياد المسكين محكا للدربين
انى أعترف بألا قيمة للفلسفة اذا لم تنزل للشعب
هلا أثبت لنا أن الدين كذلك ؟

الأنبـــا : **(خابطا المنضدة بعنف)** ليس لدينا راهبة تزنى

هيباشـــا : فأمر بالتحقيق لكى تتأكد

الأنبـــا : لا أحتاج لتحقيق أجريه كأنى شرطى

عمياء بلا شك أنت

فهل يتبع المبصر شخصا أعمى

(يتوقف فجاة ثم يسالها مضــــطربا متفحصـــا)
كم عمرك ؟

هيباشـــــا : **(بتحد)** جاوزت بعام ربع القرن

الأنبـــــا : **(يزداد اضـــــطرابا فيتجـــرع ماء الكوب)**
هل أنت ..

ولدت هنا فى مصر ؟

هيباشـــــا : لا .. بل فى أثينا

الأنبـــــا : لكنك تبدين كمصرية

هيباشـــــا : ذلك أنى عشت هنا أكثر من ثلثى عمرى

(تتوقف برهة) ها أنت بدات التحقيق ولكن ضد الشاهد !

الأنبـــــا : **(عائدا الى جهامته)** قال يسوع لنا .

« ان تعثرك العين فلا تتردد واقلعها »

هيباشـــــا : لن يفتح أعيننا الا ضوء العقل

الأنبـــــا : طال حديثك حتى أضجرنى

هيباشـــــا : **(تتأمله)** فى هذى الحالة

ليس امامى غير عيـــــون الوالى .. يفتحها أو يغلقها

الأنبـــــا : **(يزداد عبوسا وان ظل يختلس اليها النظرات الفاحصة)**

شأنك .. وانصرفى دون مباركة منا

(تخرج بعد تردد . ويدخل الراهب ايليا مهتاجا ثم ما يلبث أن يعـــود حين يرى الأنبا يتمشى كالمحموم هنا وهناك)

الأنبـــــا : أى ريح تعصف الآن بقبر قد نفثت الحلم فيه ؟
هل يعود الميتون الى الحياة ؟ !

انها فى سن مريم

انها تشبه مريم

لا .. ذاك شيطان يعابث مهجتى العطشى اليها
كيف تشبه من تلاشت عن عيونى وهى تحبو ؟!
مات والدها مريضا وهى مازالت جنينا

ثم ماتت أمها ـــ اختى الحبيبة ـــ وهى فى حمى النفاس

فغدوت الأم والأب لليتيمة

فجأة .. فى زحمة الأحداث تاهت وهى دون الثانية

صار عقلى كالبراكين تدوى ثم تهوى

فوق قلبى بسيول من لهيب

بعدها قبلت تاج الشوك ، حملت صليبى

لم تعد لى طفلة بعد ولكن فى الكنيسة

صار اطفالى جميع المؤمنين

فارتقيت المنصب الأسمى دفنت الحزن فى هم الرئاسة

ثم تأتى هذه — أستاذة الكفر — تفرق

مثل اعصار عنيد بين عقلى وفؤادى

(ايليا يدخل فيبادره الأنبا باهتياج)

هذه العمياء من لا تبصر الحق بقلب المؤمنين

هل سمعت حديثها ؟

ايليـــــا : من صياحكما المدوى

الأنبـــا : انها فى العقل ترمى فى ســـباسبه صـــخور الأسئلة

ايليـــــا : **(مشجعا اياه أن يتكلم اذ يصب له فى الكوب ماء الدورق)**

مثل ماذا ؟

الأنبـــا : كيف قسمنا ديانة ربنا الواحد فينا

ايليـــــا : تلك صخرة

الأنبـــا : هذه روما العجوز كنيسة ،

وكنيسة أخرى ببيزنطة تنافق

ثم تلك اسكندرية

كلها ترجو مع الله السيادة

ذاك دين أم سياسة ؟

ايليـــــا : صخرة أخرى رهيبة

الأنبـــا : كيف قلنا مثلما قال المسيح « دعوا لقيصر ما لقيصر »

ثم شدتنا الحياة الى صدام بالقياصر

ايليـــا : صخرة لا يستطيع المرء أن ينفذ منها

الأنبـــا : يزعمون أنهم يبنون مجدا للمسيح

بينما يبقون مصر بلادنا مثل العليل بلا شفاء

وهى قلب العالم الخفاق صانعة الحضارة

وأنا مذ كنت طفلا قد حلمت بمصر دارا مستقلة

ايليـــا : ذاك دين أم سياسة ؟

الأنبـــا : ذاك دينى ويقينى

ايليـــا : فلتمت شيطانة الغرب اذن

الأنبـــا : (**مندهشا**) كيف هذا ؟!

(وينهض مستاء)

ايليـــا : الكافر يقتل .. أو ليس كذلك ؟

الأنبـــا : لا لا .. فكذلك كان الرومان يقولون

كنا كفارا بالنسبة لديانتهم فرمونا لأسود الغاب
كيف نكرر أسلوب الرومان ؟!

ايليـــا : (**بتراجع تكتيكى**) كاد الغضب من المرأة ان ينسينى يا مولاى

الأنبـــــا : نحن ندافع عن أنفسنا ضد القتلة لكن لا نقتل من يخطىء بالأقوال

ايليـــــا : **(بصوت مرتعش حاقد)** تعنى بالقتلة يا مولاى يهود الجالية الأشرار

الأنبـــــا : ليس سواهم يا ايليا

(فيتقلص وجه ايليا بشـــكل مرعب بينما يقول الأنبا دون ان يلحظ تعبيراته)

أمر سرى منى لرئيسة دير السوما

مرها تبحث ان كانت راهبة خرجت صبح اليوم فاذا كانت خـــرجت فالى أين ؟ ولماذا ؟ ومتى عادت ؟

ولتأت الى بلا تأجيل بنتيجة بحثك

ايليـــــا : **(وقد هدأ بصعوبة)** أمرك يا مولاى

اظـــــلام

المنظـــر الخـــامس

يضاء الجانب الأيسر على ردهة فى قصـــر الحاكم اورينت ميلانى فى رداء منزلى وشـــعرها مبتل تلتقى هيباشا التى تدخل والفزع باد على وجهها .

ميـــــلانى : اهلا بك يا هيبا الحلوة

هلا تنتظرين قليلا حتى أبدل ثوبى

فأنا خارجة من حمامى للتو

لكن ماذا بك يا أختاه ؟!

شاحبة مثل غمام الصحراء

هيا لأعطرك بهذا العطر الفينيقى

هياشـــا : لست احب عطور الفينيق

ميـــلانى : عندى عطر هندى وسيعجبك كثيرا

هياشـــا : الآن ارانى أمقت كل عطور الدنيا

ميـــلانى : ما اغرب قولك هذا !

ماذا بك ؟! قولى دون تردد

هياشـــا : انى ابحث عن زوجك لأبلغه عن مقتل صياد

ميـــلانى : مقتل صياد ؟!

هياشـــا : آه ياميلانى ..

اى شرور تقبع فى قلب الانسان ؟!

ميـــلانى : يا لبراءتك اذن يا هيبا

ليتك كنت مكانى زوجة حاكم هذى البلدة

لرأيت الأهوال من الناس

ايه ! فلتنتظرى حتى يخرج زوجى

هو مجتمع بالامبراطور بغرفة مكتبه من ساعات

هياشـــا : (**تردد كأنها لا تصدق**) من ساعات ؟!

(**يدخل رامون ومونيو وهما فى حالة اضطراب شـــديد**)

رامـــــون : هيباشـــا .. انت هنا ؟! كنا نبحث عنك على الشاطىء

هيباشـــا : عند الجثة ؟!

ميـــلانى : استأذن منك لأبدل ثوبى يا هيبا

مونيــــو : (**مندهشا**) كيف تكون الجثة فوق الشاطىء ؟

هى طبعا مسجاة فوق سرير الراحل

هيباشـــا : (**مازالت مشتتة الذهن**) هل باع المجلس نفسه ؟

رامـــــون : بل قرر تأجيل الموضـــوع نتيجة هذا الحدث الأخطر

هيباشـــا : (**اكثر دهشة**) كيف يؤجل قتل الصياد قرار المجلس ؟

مونيــــو : لا نعرف شيئا عن مقتل صياد أو نجار

بل نتحدث عما حدث لوالدك هنالك فى المجلس ياهيبا

رامـــــون : لم يتحمل قلب أبيكَ مناقشة الأعضاء فـــ ....

هيباشـــا : (**تصرخ**) مات !؟

(**الامبراطور ياتى من الداخل وفى يده كأســـه وخلفه أورينت**)

الامبراطـــور : ماذا يجرى ياسادة ؟

رامـــــون : مات عميد الجامعة ليون

وهاهى ذى هيباشـــــا اقرب للاغماء لهذا النبأ الفاجع

اورينـــت : **(لرامون)** فلنأخذها كى تتنفس بين الأشجار

(ولمونيو) ومر الحارس ان يأتى بطبيبى هارون

(يخرجون عدا الإمبراطور الذى تلحق به ميلانى بعد ان غيرت ثوبها ، وهى تقترب منه لتهمس فى اذنه)

ميـــــلانى : تلك المراة .. احسبها كشـــــفت ما حدث على الشاطىء

الامبراطــور : **(مرتشفا محتويات كاسه ببطء)** حسنا

ميـــــلانى : واراها تبحث عمن قتل الصياد

الامبراطــور : فلتبحث كيف تشاء

ميـــــلانى : فى عينيها شك طاغ

الامبراطــور : فلتشكك ياميلانى ، ماذا يعنينى فى هذا ؟

ميـــــلانى : انى اعرفها .. بدات بالعطر ولولا الصـــــدفة لاكتشفتنى

الامبراطــور : **(مترفعا)** فلتكتشفك . لكن لن تجرؤ ان تتطلع نحوى

ميـــــلانى : **(تستفزه)** تجرؤ لو تتنصر

او لم تخبرنى انك مارست الضـــــغط عليها كى تتنصر ؟

الامبراطــور : **(فى حدة)** ماذا تعنين ؟ هيا وابينى ما فى رأسكَ

ميـــــلانى : ماذا لو اعلنت الآن تنصــرها ؟ فكر يا زينوس
ستنال حماية كيمالوس

وكذلكَ بابا روما

وسيجد الامبراطور الآخر فرصته فيطالب بالتحقيقَ
فاذا برأت ساحة هذى الكاتدرائية

هل اصبح وحدى المتهمة ؟!

لا .. لن اصبح وحدى يا امبراطورى المحبوب
ولكن سأجرك خلفى

الامبراطــور : **(ببسمة صفراء)** لا يستبعد من زانية مثلكَ

ميـــــلانى : نحن الاثنين بذات القارب

دعنا لا نتشاجر حتى لا نغرق يا زينوس

والآن الا تعترف بأنك اخطأت

اذ اغويت رجال الجامعة لكى يلتحقوا بالدين ؟!
كى تنقسم الكاتدرائية من داخلها ـــ هذا ظنكَ ـــ لكن

ماذا لو صاروا نصرانيين بحق ؟

الامبراطــور : **(مفكرا)** لن يحدث

هيباشا رفضت عرضى

ولسوف تظل على موقفها .. انى أعرفها

ميـــــلانى : لو عرفت ان الكاتدرائية ظلمت لاختلف الأمر

لماذا صارت هذى المراة فى خندق كيمالوس

انطبق الضلعان عليكَ

تعرف طبعا اثر الوحدة بين العقل وبين الدين
خصوصا فى مصر

الامبراطـــور : **(فى ضيق)** اعرف اعرفَ

ميـــــــلانى : مثل عصا واحدة تضرب ضلع سياستك الخرقاء

الامبراطـــور : والحل اذن ؟

ميـــــــلانى : اترك لى ضرب الضلعين الخطرين عليكَ

الامبراطـــور : اذن لمنحتك ... ماذا ؟

ماذا تطلب ميلانى الداهية الحسناء

ميـــــــلانى : لقب الامبراطورة

الامبراطـــور : ماذا ؟! لقب الـــ ... ماذا ؟! الامبراطورة ؟!

ميـــــــلانى : تستكثره ؟! وانا من تفتح لك أبواب اللذة وتخذلَ
عنك الأعداء ؟!

الامبراطـــور : والأخرى الرسمية ؟! تلك الغولة اين ستذهب ؟!
والآخر؟! زوجك هذا الثعبان النائم كيف نعالجه ؟!

ميـــــــلانى : **(هامسة)** كأسان بخمر مسموم يامولاى

(تسمع اصوات صاخبة وهياج وصـــراخ

يهرع الامبراطور الى النافذة يطل منها متسائلا)

الامبراطـــور : ماذا يجرى بالخارج يا هذا ؟

مونيـــــــو : **(من الخارج)** معـــركة بين الرهبان وبين يهود التوراة

الامبراطـــور : **(بنزق)** ايهما الغالب حتى الآن ؟

مونيـــــــو : القتلى اكثر بين التوراتيين

والجرحى لا حصر لهم بين الرهبان

والحاكم اورينت يفرق برجال الشرطة بين الكل بلا جدوى

ميـــــلانى : **(لنفسها)** بدات رحلتى الآن الى عرشك يابيزنطة فاذا اصـــبحت شريكة هذا الشـــهوانى الأحمق اصبح سهلا ان اتخلص منه وانفرد انا بالحكم

الامبراطـــور : **(لنفسه)** اوقعنى هذا البلد الملعون بعدة اخطاء ملعونة

اصرارى أن يتدين أهل العلم لأســـباب محض سياسية

ثم عدولى الآن عن الفكرة ..

ايقود الى خطأ آخر ؟!

والآن تساومنى تلك الزانية على عرشى .. لكن لا بأس .. فتنظيم الفوضى يوقع أحيانا فى بعض الأخطاء .

فلأترك تلك المراة تخرجنى من هذى الورطة ثم اخلصها من عبء الدنيا فيما بعد

ميـــــــلانى : هل نتعاهد يا زوجى القادم ؟

الامبراطــور : نتعاهد ؟! لا باس بهذا .. لم لا ؟
فلنتعاهد

(ويتجرع ما فى كاسه دفعة واحدة)

ســــــتار

الفصل الثانى

المشهد الأول

غرفة هيباشا فى مبنى الجامعة
الجانب الأيمن تضيئه بضعة شموع على المنضدة
الوقت ليلا ، والقمر يطل احيانا عبر النافذة ثم لا يلبث ان يختفى وراء السحب الراكضة بفعل الرياح
يلوح وجه مونيو متلصصا من زجاج النافذة
يسمع طرق على الباب

هيباشا : ادخل

أورينت : **(متقدما منها)** ها قد ثارت مشكلة الدفن كما قدرت
والمعركة اتسعت بين الكل فشملت حتى الغوغاء
ستقولين اذن كيف سأتصرف

(يرتمى على مقعد مستهينا بالسؤال)

حسنا .. سأنام الى ان اصحو فى الغد

فأنا مهما تكن الأزمات أمامى

لا اهجر ساعات النوم بتاتا

اذ يصفو ذهنى حين يحيط النوم براسى مثل ملاك
يعزف ألحانا هادئة

ليتك تلتمسين لنفسك أنساما تأتى

من هذا النهر الهادىء يرقد بين الأدغال

هياشـــــا : كيف انام وشبح المقتول أمام فراشى ؟!

اورينـــــت : نتحدث عن فوضى شاملة وكذلك عن دفن أبيك
بينا تهتمين بأمر قتيل مجهول ؟!

هياشـــــا : دفن ابى فى أى مكان لن يرجعه حيا

والفوضى شأن سياستكم أنتم

اما الصياد المقتول فأمر تختص به البشرية أجمع

اورينـــــت : البشرية اجمع ؟! البشرية أجمع ؟!

هياشـــــا : من يقتل نفسا واحدة دون قصاص عادل

لا ريب كمن قتل الناس جميعا

اورينـــــت : **(مرتبكا)** آه ... لكن ...

هياشـــــا : انى اسألك سؤالا مختصرا
وأريد اجابتك المختصرة

هل خــرج المدعو زينوس .. من دارك ظهــر اليوم ؟

اورينـــــت : **(مشدوها)** اتســـــمين الامبراطور .. المدعو زينوس ؟!

هياشـــــا : حسنا .. هل خرج الامبراطور الأعظم من دارك أم لا ؟

اورينـــــت : **(بقوة) لا ..** لم يخرج

هياشـــــا : ولماذا تصرخ يا أورينت ؟

اورينـــــت : انى لا اصرخ يا هياشا لكنك انت جننت

هياشـــــا : الأنى اطلب تطبيق القانون ؟!

اورينـــــت : تتهمين رئيس الدولة دون دليل وتقولين القانون ؟!

هياشـــــا : ستكون دليلى ان أنت صدقت

أورينـــــت : لكن هو لم يخرج

هياشـــــا : **(تقترب منه)** هبه خرج

هل كنت ستبحث عما خلف خروجه؟

هل كنت ســـــتسأل عمن كانت معه فى مذبحة الصياد ؟

أورينـــــت : ليكن أن الامبراطور انطلق من الدار لساعات ، **قلت أو كثرت**

هل يعنى هذا أن الرجل تورط فى قتل الصياد ؟!
فرض ثان .. الامبراطور أراد الصياد قتيلا

فلماذا لم يرسل من يقتله دون تورطه شخصيا ؟!
فاذا جئنا للفرض الثالث وهو المستبعد اكثر

الامبراطور مريض مجنون وارتكب جريمته بيديه
من شاهده يقتل ؟! انت ؟!

هيباشـــــا : بل شاهدت القاتل رجلا فى هيئة جسمه

يتلثم بلثام ، وامرأة راهبة تسعى معه ....

اورينـــــت : **(مقاطعا)** راهبة قلت ؟!

هيباشـــــا : زانية فى ثوب الراهبة منقبة بنقاب أسود

اورينـــــت : من تشبه ايضا ؟!

هيباشـــــا : فى هيئتها العامة تشبه .... لا أدرى

اورينـــــت : **(يقـــــاطعها ثانية بحدة)** وتريدين التحقيق مع
الامبراطور لمحض الشبهة

ياهيباشـــــا .. الامبراطور لديه جهاز يغتال
الخطرين عليه

وانا رجل يرغب فى العيش لسن التسعين

حينئذ .. حين يجيء الموت عدو الأحياء جميعا
أستقبله فوق فراشى الدافىء

وكأنى أستقبل فى جفنى نعاسا

بدلا من ضربة سيف تخرق جمجمتى فتئز عظامى
او رمح يحطم صـــــدرى فيروعنى عطش يحرق
امعائى

وشياطين الآلام تعربد فى حلقى

ودماء لاهبة تنزف من رئتى

(ومتوقفا فجاة قائلا بلهجة اخرى)

تعزيتى لوفاة المحترم أبيك

هياشــــا : **(متجاهلة يده الممدودة)** حبل صـــداقتنا انقطع الآن

آه يا أورينت .. يا من كانت صنعته القانون
الآن أراك رئيس حواة فى القصر الملكى

أوريـــت : **(منفجرا)** تحترمين القانون ؟! ما القانون ؟!

ليس سوى شيخ أعمى يضرب فى جبل الظلمات
لا يكشف الا عن نصف الوجه كهذا القمر الأحمق
حتى هذا النصف تحاصره الســـحب الســـوداء
يكفينى — بالقانون الأعمى — أن يشهد ضـــدك
يا هياشا اثنان

لتدينك محمكتى فى التو

حتى لو كنت بريئة

هياشــــا : اذهب عنى يا أورينت

أوريـــت : انت تثيرين عداء الكل

فى العام الماضى أحرجت يهود الجالية بنقدك للتوراة

واليوم تعادين الدولة

وغدا قد يقتلك الرهبان لأنك

تتهمين امرأة منهم بالفسق

امرأة لم يرها احد غيرك

(ومستدركا) أتقولين منقبة ؟!

(ساخرا يشير عبر النافذة) مثل القمر المتخفى بنقاب السحب الليلة ؟!

هياشـــــا : لن ابرح هذا العالم حتى أكشف سره

اورينـــــت : لا اخفى اعجابى بصلابة رايك

وكأنى المح أنتيجون جديدة

فى نفس الوقت انا اعترف بأنى محدود القدرة ولعلى حين سأدخل حمامى الدافىء فى بيتى الليلة أتناسى ما سوف يصيبك فى الغد

(ويخرج)

هياشـــــا : طابت ليلتك اذن يا أورينت

يامن كنت صديقا لى

(وتتوجه الى النافذة تفتحهـــا فتطفىء الرياح الشموع بينما يتوارى مونيو مسرعا . بعد قليل يدخل الامبراطور حاملا مصـــباحا يضعه على المنضدة ويسرع الى النافذة يغلقها حينئذ يعود مونيو الى التسلل بالنظر عبر الزجاج المعتم)

الامبراطـــور : اتريدين الموت مترقفة كالعصفور بلا عش ؟

هياشـــــا : فيما جئت ؟

الامبراطـــور : لأقدم تعزيتى

هياشـــــا : لا أقبلها الا حين يعود المقتول الى بيته

الامبراطـــور : ماذا تعنين ؟! لا أفهم قولك

هياشـــــا : **(تواجهه)** بل تفهم يا زينوس

الامبراطـــور : ثمة شبهات فى موت أبيك ؟!

هياشـــــا : لا أتحدث عن موت أبى

بل عن مقتل صياد تعرفه أنت

الامبراطـــور : صياد أعرفه ؟! أى هراء هذا ؟!

هياشـــــا : كيف تصورتك يوما زوجا لى ؟ !

الامبراطـــور : كان من الممكن أن نتزوج

لولا أن فرقنا استكبارك وتعاليك

هياشـــــا : بل نزواتك وجنون العظمة فى تكوينك

الامبراطـــور : ها قد عدنا سبعة أعوام كى نتشاجر ثانية

هياشـــــا : أن يتزوج رجل وامرأة .. معناه برأيى

أن تنكشف الروح وتتسع الرؤيا

لكنك محجوبا كنت بطين الشهوة والمادة

والآن ازددت غلاظة

فالسلطة ــ شهوتك الكبرى ــ

تحجب عنى رؤية أعماقك

الامبراطــور : هيا .. فلنصلح أخطاء الماضى

يمكننا أن ننطلق سويا نحو الشرق

هيباشـــــا : **(ساخرة)** اذ تتنكر فى زى الأعراب ؟!

وانا اتنقب فى ثوب الراهبة الأسود ؟!

الامبراطــور : **(متجاهلا تعريضها)** لم يهجر ملك عرشا من قبل طواعية

لكنى سأجمد عرشى من اجلك

هيباشـــــا : تجمد عرشك ؟! ما اغرب هذا التعبير !

الامبراطــور : تلك الفرصة لن تتكرر أبدا

هيباشـــــا : **(باحتقار)** بل نزواتك لا تفرغ أبدا

الامبراطــور : تلك المرة لا نزوة فيها .. بل حبى اياك

هيباشـــــا : فاعد صياد السمك المقتول أصدق زعمك

الامبراطــور : **(صائحا)** لا اعرفه هذا الصياد المقتول

هيباشـــــا : اسمعنى زينوس وتفكر فى قولى

قد يجتمع النسر وانثى الديك بقنص واحد

لكن لن يجمعنا هذا العالم أبدا زوجين

الا ان تصدق أو اكذب

والفرضان عصيان علينا

الامبراطـــور : **(بياس) انت اخترت ولم يبق سوى ان اختار الآن تيقنت بانى لن اصبح ملكا حقا**

الا حين أمارس فيك السلطة

فاليك قرارى الأول

كان بامكانى ان اتحدى من اجلك كيمالو الأسقف فاصرح لأبيك بأن .. يدفن فى المقبرة الملكية

لكن لا .. لن افعلها

وحدك فاصطدمى بالقانون الكنسى

هياشـــــا : يتمخض جبل لكن ينجب جربوعا

سأقوم بدفن أبى فى مقبرة العامة

هل يؤذى الشاة السلخ وقد ذبحت ؟!

لكن .. صدقنى .. لن اترك مقتلة الصياد تمر

الامبراطـــور : الصياد الصياد !

هل أوقف ســــير الدولة حتى نعــرف من قتل الصياد ؟!

هياشـــــا : تغرب شـــــمس الدولة حين تغض الطرف عن القانون

الامبراطـــور : تطبيق القانون هنا من شأن الوالى لا من شأنى

هياشـــــا : الوالى رفض التحقيق وها أنت كذلك ترفضـــه فلمن اتوجه ؟!

الامبراطـــور : **(وهو يخرج ساخطا)** ليسوع الرب اذا شئت

(يخرج بومباس الحارس وهو ينظر اليها بكراهية فيحمل المصباح خارجا به تاركا المكان فى ظلمة دامسة ، يسمع صـــوت هيباشا يردد فى ياس والم) .

هيباشـــــا : وجه الصفر يعابثنى كسراب الصحراء

يبدو انى اتخيل ما لا ليس له أثر فى الواقع

(وتصرخ) من قتل الصياد اذن ؟!

(صوت المطر ينهمر بشـــدة فى الخارج فيهمس مونيو منقرا على زجاج النافذة)

مونيـــــــو : هيباشا

هيباشـــــا : مونيو ؟! ما اوقفك هنا ؟!

تلك الأمطار تكاد تطيح برأسك

أدخل .. ادخل

(فيندفع مونيو من سياج النافذة وهو مبتل تماما)

هيباشـــــا : ماذا ؟! مخمور أنت الليلة ؟!

هيا اخلع عنك قميصك هذا المبتل وضع نفسك فى ثوبى الجاف

مونيـــــــو : رجل فى ثوب امراة ؟! كيف ؟!

هيباشـــــا : وكأن المراة عار او عورة

دعنى أمسح عن ظهرك هذا المطر البارد

مونيـــــــو : **(لاهثا)** أنت تثيرين الحمى فى بدنى

هياشــــا : **(بهدوء حازم)** دعنى يا مونيو .. دع عنى يدك المبتلة

مونيــــــو : ولماذا لا ؟!

(يسمع صوت لهاثه فى الظلمة بينما ياتى صوتها هادئا تماما)

هياشــــا : لن تأخذ منى الا جسداً ثلجيا

فى نفس الوقت ستخسر حبى اياك

مونيــــــو : هل يعنى قولك هذا أنى محبوبك ؟

(وتنتابه نوبة فواق)

هياشــــا : أحد أحبائى لاشك

مونيــــــو : **(صارخا)** كلمات تتلاعب بى !

هيـــــاشا : **(ضاحكة)** ها أنذى البســـــتك ثوبى .. أين الشمعة ؟

(البرق يضىء المكان فتتوجه هى الى المنضـدة تتحسسها)

مونيــــــو : وكأنى امرأة مثلك !

هياشــــا : ليتك كنت امرأة لفهمت شعورى

ليس الجسد هو المفتاح لقلب المرأة

(أضاءت الشمعة وراحت تتأمل منظره فى ثوبها النسوى)

المفتاح صداقتها

اطمئنان المعنى للمعنى

وانجسد المختلف لهذا الجسد الآخر

حينئذ يأتى ما نطلبه .. مثل الحلم الوردى الهائم فى الملكوت

مونيــــــو : **(صائحا فى غيرة)** انت تحبين الامبراطور

هياشـــــا : هذا الكائن محتقر عندى لو تعلم

فهو يعادى حلمى بالحرية والعدل

مونيــــــو : انى احترق بنار الحرمان وانت تثيرين قضـــــايا فكرية ؟!

(ويتطوح مخمورا) ما لم تطفأ نارى الليلة ياهيبا فانا انذرك بأنى ....

هياشـــــا : ها انت تهددنى ! كيف اذن تتصور أن آخذك بصدرى رجلا وحبيبا ؟!

مونيــــــو : **(مستثارا)** ثمة غيرك تطلبنى

بل ترجونى أن ارسمها

هياشـــــا : واسفاه لطفل يرفض أن يصبح رجلا

مونيــــــو : **(فى قمة غضبه)** سأريك اذن انى رجل يعرف اسرار الدولة

وكذلك اسرارك شخصيا

هياشـــــا : **(غاضبة مستثارة)** انى مثل الصبح ولا اسرار

مونيــــــو : بل عندك سر

لو كشف انقلب على عقب راسك

هياشـــا : ها أنت تهددنى ثانية

وانا من كانت ترجوك صديقا

فاذا بك كذاب ودنىء

انزع ثوبى عنك وهيا اذهب

مونيـــو : **(يلقى اليها بثوبها مختطفا قميصه)**

وكانى اخسر تاج الملك

طبعا اجدر بى ثوبى المبتل

وكما جئت من النافذة سأذهب

ولسوف أمزق لوحتك غدا

أجمل ما رسمته يد فى هذا العصر

(ويخرج بينما تتجول هى فى المكان منفعلة)

هياشـــا : ماذا يقصد هذا الانسان ؟!

ولماذا لم اتركه يبوح بما يعلم عنى ؟!

(يسمع صوت الأمطار ينهمر بشدة فتتهاوى هى على المقعد واجمة حائرة تردد)

ليس الصفر سوى فقدان الحب

وسوى فقدان صديق تلو صديق

وسوى زلزلة تضرب فيك يقينك

لم يبق أمامك يا هيباشا الا ان تجدى القاتل .

(وتهب واقفة)

وسبيلك يبدأ .. بالراهبة الزانية القذرة

(البرق يلمع ثم ينفجر الرعد)

اظـــــــلام

المشـــــهد الثـــــانى

يضاء الجانب الايسر على غرفة ميلانى فى قصر الحاكم

نفس الليلة والقمر يطل شاحبا من خلال ستائر النافذة

والرياح مازالت تعوى . فى منتصف الغرفة حامل خشـــبى عليه لوحة لم تكتمل صورتها

ميلانى تتحرك هنا وهناك بحيوية

ميـــــــلانى : معلومات رائعة لاشك .. وبالمجان

هاهى ذى الفكرة تتفتح فى راسى مثل قرنفلة النار

حقا لا يصـــعد أحد قمة جبل الا أن يعرف ماذا تحت الأحجار وماذا بين الفجوات

(وتضحك) والخائب مونيو يتصورنى كرســـول غرام لحبيبته الحسناء !

(طرق على الباب فتصيح) ادخل يا هارون

هـــــارون : هل تشكو مولاتى الم المعدة مثل الأسبوع الماضى؟

ميــــــلانى : اسمعنى يا هارون

أنت هنا الليلة كى تفحص لا كى تختبر مريضا

هـــــارون : شرف لى أن تفحصنى أذكى من فى الأرض

ميــــــلانى : دعك الآن من الملق التافه واسمعنى

هيباشا والأنبا .. راسان أريدهما فى طبق واحد

هـــــارون : هذا هدف أتمنى أن ابلغه لكن كيف ؟

ميــــــلانى : ها هى ذى أوراقى رتبها أنت بمعرفتك

(وتعد على أصابعها) اخترعت هيباشا شــيئا كالآلة

تقذف ببخار الماء كاعصار مارد

يمكن للآلة هذى أن تنفجر فتحرق مكتبة الجامعة على الفور

ولديك عميل بين رجال الاكليروس القبطى

يمسك بمفاتيح مخازنهم

فاطلب منه ملابس رهبان كى يتنكر فيها أتباعك ستهاجم هيباشا الرهبان بكل مكان

وكذلك سيهاجمها كيمالوس

فاذا قتلت فيما بعد

علقنا مقتلها فى رقبته

ثم رميناه بصـــاعقة خرقاء تدمر منه العقل تماما
اذ نبلغه أن قتيلته .. هيباشا .. ابنته

هـــــارون : **(مذهولا)** ماذا ؟!

ميـــــلانى : بالأحرى هى ابنة أخته

أو لم يفقد تلك الابنة فى أيام الفوضى ؟

هـــــارون : نعرف شيئا يشبه هذا لكن ...

ميـــــلانى : اليوم علمت بأن ليون العالم ليس أبا هيباشـــا بالمولد

فلقد وجدتها زوجته العاقر تائهة فتبنتها

ثالث أوراقى ولنكشفها دون تحفظ

ايليا يعمل لحسابك فاتركه ينفذ تلك الخطة

فهو عميلى فى نفس الوقت

هـــــارون : أعرف هذا ياسيدتى

ميـــــلانى : وأنا أعرف أنك تعرف

هـــــارون : لو كان لدينا مثلك لملكنا العالم نحن الشعب المختار

ميـــــلانى : **(نافذة الصـــبر)** دعنا من أوهامك تلك الدينية واجبنى هل تحسب أن الأنبا يتقبل مزج بضاعتنا هذى دون دليل ؟

هـــــارون : طبعا لا

ميـــــلانى : بل يقبل

اذ ليس على من ينشد شائعة — حتى لو كانت كاذبة — ان ياتى بدليل مادى

يكفيه البلبلة الفكرية

فاذا كانت شائعة فادحة

لن يملك من يسمعها الا أن يزلزل

هـــــارون : **(صائحا باعجاب شديد)** أستاذة

ميـــــلانى : مع ذلك سنقيم دليلا مصطنعا

(وهى تتمشى) يرسل للأنبا مكتوب من أستاذ الجامعة ليون يتحدث فيه عن تأنيب ضــــمير يستيقظ

ولأن « ليون » العالم يحتضر الآن — كذاك يقول فلقد فكر أن السر المؤلم آن له أن يكشف

كى يرقد — مازال يقول .. أتفهمنى ؟ — مرتاحا فى قبره

(وتتوقف قائلة) وانثر قطرات من ماء فوق الصفحة كى تبدو دمعة حزن فرت من عين الكاتب

وتدبر الا يقرأ كيمالوس ما سوف تدبج بينا هيباشا حية

حتى لا تكشف تزوير الخط فتفسد خطتنا

هـــــارون : **(يركع امامها هاتفا)** أنت نبيتنا منذ الآن

ميـــــلانى : صه !

(أصوات أقدام بالخارج ينهض على اثرها هارون مرتعبا)

هـــــارون : شخص بالخارج ياسيدتى أتراه استمع الينا ؟!

ميـــــلانى : هذى خطـــوات الامبراطور المثقلة بتأثير الخمر يحسن أن تنصرف الآن

هيا وامش جوار الحائط

هـــــارون : فماذا أبصرنى ؟

ميـــــلانى : دعنى أتصرف يا أحمق ..

هـــــارون : سأعود اليك غدا كى اتزود من نبع ذكائك

(واذ يخرج يدخل الامبراطور يتطوح مســــكرا والكاس الذهبية فى يده صائحا)

الامبراطـــور : اعشيق آخر ثم تريدين مشاركتى العرش ؟!

ميـــــلانى : لا ترفع صوتك أو يسمعنا هذا الضبع النائم

الامبراطـــور : **(هامسا)** اعشيق آخر ثم تريدين مشـــاركتى العرش ؟!

ميـــــلانى : ذاك طبيب القصر وكان يطببنى من آلام بالراس

الامبراطـــور : ولماذا يتسلل كالفأر المذعور ؟

ميـــــلانى : دعنا من هذا الفأر المذعور وضع أذنيك أمام فمى

الامبراطـــور : سر عندك ؟!

ميـــــلانى : أخطر سر سوف يدمر خصميك معا

الامبراطـور : هيا قولى (**فتحدق فيه كما لو اكتشـــفت أنها تسرعت دون داع)**

ميــــلانى : طبعا سأقول .. أعنى .. أقصد أنك حين تفيق سأكشف لك عن سر هائل

الامبراطـور : بوحى بالسر الآن والا ...

(فتفكر برهة ثم تهتف)

ميــــلانى : حارسك الخاص يغازلنى .. هذا الضخم المتورم **(وتتحسس شعر زينوس هامسة)**

فلماذا لا نجعله يقتل هيباشا ويثنى بالأنبا

ثم نقدمه لمحـــاكمة عادلة وبهذا نتخلص من كل الأعداء ؟!

الامبراطـور : **(يتاملها بنصف عين يقظة جدا)**

بومباس هذا لا يغويه على القتل ســـوى امرأة مثلك

والاغراء الجنسى كفيل أن يجعله طوع بنانك

والآن دعينى أرقد فوق فراشك بعض الوقت

(واذ يفعل تتحرك هى نحو النافذة وترفع ذراعها منتشية كانها امبراطورة تحيى الجماهير .

يرقبها الامبراطور ويردد منتشيا لنفسه)

الامبراطـور : فلتختبرى بومباس يا ميلانى

فلتختبرى بومباس

اظـــــــلام

المشـــــهد الثـــــالث

صباح اليوم التالى

الريح تصفر والشمس غائبة وراء السحب

الى اليمين جانب من المقبرة المسيحية حيث الأنبا كيمالوس يتلو الصلوات وحوله رهبان يبكون

الى اليسار حدود حارة شعبية

الأنبـــــا : من تراب لتراب ذلك الجسد المعذب

بينما روحى ترفرف مثل أجنحة الحمامة

ايها الرب الرحيم

أنت راع ، أى شىء بعد يعوزنى ؟

فى مراع ونخيل تربض الجسد الظمىء الى القيامة
وهى لى ماء وعطر

وثياب سندس خضر

لم يعد فوقى صليب بل ضياء فيه أزهار ودر
ها أنا أمشى بوادى الموت لا اخشى اذى ...

مطمئن السمت

ذا لانك يا الهى سائر فوقى وتحتى

من يمينى ويسارى .. من أمامى وورائى

قائدى أنت الى دار البقاء

وأنا كلى رضاء بتصاريف القضاء

(وفجأة يصيح بصوت رهيب) انما ....

يارب لا تصفح عن الأعداء جند الشر

قاتلى المجرمين

آمين

الرهبـــــان : **(يصرخون مرددين)** آمين

(ويبدأ الجميع فى الانصـــراف . البعض يبكى والبعض يهدد بقبضات الأيدى .

فى الجانب الأيسر تظهر هيباشا فى ثوب أسود وعلى كتفيها عبـــاءتها الحمراء ، ومعها هارون يحيط بهما جمع من الأهالى وفى المنتصف يلتقى الجمعان)

هيباشـــــا : **(للأنبا)** موتاك الآن بجنات الفردوس

وأبى .. من مات على غير ديانتكم ،

فى نظرك ليس سوى رجل هالك

لكنى أسأل كيف يداعب عينيك نعاس

بينما فى زمرتكم راهبة تزنى ؟!

الرهبـــــان : **(يصرخون)**

ـــ راهبة تزنى ؟!

ـ ما هذا القول الداعر ؟!

ـ تتهمين كنيستنا يا وثنية ؟!

ـ يا ابنة هذا الكافر يا ملعونة

ايليـــــــا : قول لن يمحوه الا موتك

(الأنبا يهدئهم باشارة ويتوجه اليها)

الأنبـــــا : أنت تثيرين العامة ضد كنيستهم يا هذى

كاذبة لا ريب وابليس يسيرك كما يتشهى

ســـــالم : هذى المرأة لا تكذب يا أبتاه

الأنبـــــا : ماذا ؟! من أنت ؟

ســـــالم : أحد رعاياك المصريين الفقراء

الأنبـــــا : مصرى ؟! **(يقولها باستنكار ودهشة)**

ســـــالم : من قمة رأسى حتى اخمص قدمى .. **(ومتحديا)**
واسمى سالم

الأنبـــــا : وتصدق هذى الاغريقية ؟!

ســـــالم : بل عينى

فأنا شاهدت بنفسى راهبة متنقبة تعدو فوق جواد
كنت أطوف بقارب صيدى خلف الأمواج المرتفعة
حين رأيت القاتل يلقى جثة خلة فوق الســـاحل
ولهذا حين أتت هذى السيدة تقص علينا قصتها
امنت عليها .

رزق : **(وهو صياد آخر)** نحن نطالب بالتحقيق

الأنبـــــا : مصرى أنت كذلك ؟!

رزق : واسمى رزق ،

وان كنت الآن قليل الرزق بتلك الأيام الصعبة

جعنا وعرينا فصبرنا

لكن كيف الصبر على أن نقتل

ثم يمر القاتل دون عقاب ؟!

نحن نطالب يا مولانا بالتحقيق

الأنبـــــا : أورينت المسئول عن التحقيق ولست أنا

رامـــــون : يا مولانا نحن نريدك أن تدعمنا

أن تبحث معنا سر الراهبة المختفية

الأنبـــــا : آخر قول لى

لم تخرج راهبة من دير الأخوات طوال الأسبوع

من ثم فلا شأن لنا بقتيل وثنى

هيباشـــــا : ولماذا التركيز على كلمة وثنى ؟!

الأنبـــــا : من مات ولما يتنصر فهو اذن وثنى كافر

هيباشـــــا : فكأنك حين ترى انسانا فى بئر يغرق

تنتظر فلا تنقذه حتى يدخل فى دينك ؟!

ايليـــــا : ما شأنك أنت بهذا الصياد

أم كنت عشيقته المستترة ؟!

هياشـــــا : هل يرمى المؤمن سيدة بالفسق بغير دليل ؟!

الأنبـــــا : **(محرجا)** أنت رميت كنيستنا ظلما

بقرينة ثوب ونقاب لامرأة لا نعرفها

هياشـــــا : لم أرم كنيستكم لكن طالبت بتحقيق جاد

الأنبـــــا : لكن ما هدفك أنت ؟!

هياشـــــا : هدفى .. العدل

الأنبـــــا : العدل ؟! هو هدفى طول العمر ولكن كم عمرك **أنت ؟**

هياشـــــا : تسألنى ثانية عن عمرى !

هل يتوقف بحث الانسان عن العدل على عدد السنوات ؟!

فى هذى الحالة عمرى آلاف الأعوام

وكذلك عمرى ممتد حتى أجد العدل

الأنبـــــا : يا لغرورك ياهذى المرأة

وكأنك لن يدركك الموت !

ياسيدتى .. ليس هناك سوى الله الباقى فى هذا الكون

يعلم ما لا يعلمه الانسان الدودة

(الرهبان يمجدون الله)

هياشـــــا : لسنا ديدانا بل بشرا

وسنكشف سر الكون فماذا يوقفنا ؟!

الأنبـــــا : يوقفكم زحف الأهواء وتلك الظلمة فى القلب

والآن ارتطمى بالصخرة حتى يتناثر راسك عظما وشظايا

قولى ما شئت ولكن من أعطاك القدرة ؟

من يخرج صوتك من حنجرتك ؟

من ركبك على هذا النحو المتمرد ؟

لكن لا يتمرد أحد أيضا دون ارادته سبحانه

أنت تريدين وغيرك يسعى

لكن الله الفاعل دون سواه

لا ينقل أحد قدما عن قدم الا حين يشاء الله

(الرهبان يمجدون بقوة)

هياشـــــا : والقاتل ؟! كيف يحرك قدميه ؟!

وكيف يمد يديه ليزهق نفسا ؟!

هل يقتل بمشيئة رب الكون ؟!

ان يفعل .. لا تثريب عليه اذن

فالله أراد له أن يقتل فأطاع

الأنبـــــا : لا .. لا يأتى من رب الكون سوى الخير

اما الشر فمن ابليس

(تمجيد اقوى من الرهبان)

هياشـــــا : للشيطان اذن قدرة ؟!

أثبت القدرة لله وللشيطان

بينما اثبتَّ الخذلان لنفسك والعجز

(صمت من الجميع)

مع ذلك انت تقاوم أتباع التوراة بقوة ضرغام
كاسر مع ان يسوع يقول « لا تقاوموا الشرير »

لكن رهبانك قتلوا أمس ثلاثين يهوديا

ثأرا للقتلى من اتباعك

من لم توقفهم قبلا عن طلب الثأر

والآن أراك تضيق بمن يطلب ثأر الصياد

كم تتناقض يا أبتاه !

الانبـــــا : **(يردد تعبيرها لنفسه متوجعا)** يا ابتاه

ايليـــــا : **(لراهب شاب هامسا)** ملعونة

شيطان فى جسم معلمة ملعونة

الـــــراهب : **(هامسا)** هل نتركها تتطاول اكثر ؟!

ايليـــــا : **(هامسا)** بل لابد لنا ان نخرسها

رامـــــون : **(مقتربا منهما)** اعرف ما يشجيكم يا ولدى

لكن .. لن يجرؤ احد منكم أن يلمسها

الـــــراهب : (**بغلظة**) مادمت تخاف عليها فاطلب منها

أن تخرس

رامــــون : ولماذا تخرس ؟!

هى تطرح اسئلة فاعط لها أجوبة معقولة

ايليـــــا : (**منتقلا الى صفوف الأهالى محرضا**)

هل يرضيكم ما تفعله هذى المراة ؟

ســـــالم : ماذا فعلت الا أن طلبت تحقيقا

ايليـــــا : تلك المراة ضد الأديان جميعا

ســـــالم : أما أنت فضد التحقيق لصالح خله

ايليـــــا : أنى ضد الوثنية حيث تكون

ســـــالم : أما نحن فلسنا ضد الأستاذة

سمعتها الحسنة تسبقها فى كل مكان

ايليـــــا : ها هى ذى تسحبكم كالماعز خلف خطاها

ســـــالم : (**غاضبا**) نحن وراء الحق ولسنا اغناما

رزق : طبعا لسنا أغناما

(وهكذا يردد الأهالى)

الأنبـــــا : يا ابنائى .. يا أبنائى

تلك المراة تعتمد على عينيها

والعينان سبيل للخطأ كثيرا

أو لسنا نبصر طيرا وبغالا تمشى فوق السحب
وأحيانا تتشكل فى هيئة انسان

هى ايضا تعتمد على المنطق والعقل

والمنطق لا يأتى بجديد

كل البشر يموتون وسقراط بشر

سقراط اذن مات . فهل نكسب علما من هذا
القول ؟

ذاك هو العقم العقلى بعينه

ان الواقع يسخر من انماط المنطق

فيسوع الانسان يموت ولكن

هو قطرة ماء قدسية

لم تتبخر عدما وهباء

بل ذابت فى بحر الرب فصارت بحرا بالمعنى

والمؤمن حقا .. لابد يرى فى هذا نسقا

متسقا وجميلا مثل الميلاد ومثل الموت الهادىء بعد
حياة طاهرة الذيل

يا ابنائى .. هذا قولى

لم تخرج راهبة واحدة من بيت الرب طوال
الاسبوع

هل منكم من يتهم اباه الراعى بالتضليل ؟

الرهبـــــان : **(يصرخون ووراءهم الأهالى)**

لا .. لا

الأنبـــــا : بارك ربى فيكم .. فلتنصرفوا

(فيستعد الجميع للانصراف عدا هيباشا ورامون وسالم ورزق ، بينما يظهر مونيو منكس الراس حزينا)

رامـــــون : اشتد البرد وأخشى أن تمطر

مونيـــــو : فلتمطر يا رامون فقد تغسل عنا الأوساخ

رامـــــون : مونيو ؟! هل هذا وقت تتركنا فيه

ايليـــــا : **(لراهب شاب)** فى بطنى زوبعـــة اخشى أن تنفجر الآن

الـــــراهب : خلص نفسك فى المقبرة ولا تتردد

(فينصرف ايليا)

هيباشـــــا : **(موجهة حديثها للأنبا الذى كان قد ابتعد)**

مازلت تلاعبنا بالشعر وبالكلمات

رفضك للمنطق يرمينا فى تيارات الفوضى العقلية حتى لو آمنت أنا بيسوع

لمضيت كما أمضى الآن بلا تزويق

انسانا يحترم العقل ولا يعترف بعجز أو

يتمسك مثل الطفل بثوب الرب أبيه

الأنبــــــا : **(صائحا فيها منبعيد كمن يؤدب طفلا)**

صاخبة أنت وحمقاء

تفتقرين الى احساس بسكون الأبدية

هياشــــــا : **(مثله)** ما الأبدية ؟!

لا أعرف الا الزمن السائل مثل النهر

ما الأبدية .. قف وتكلم

الأنبــــــا : **(صائحا)** قطرة ماء من هذا النهر تعادل كل النهر

هياشــــــا : **(مثله)** هل أسبح فى قطرة ماء حين أريد العوم

هل تملك أن تدفع بسفين فى قطرة ماء ؟!

هل يلقى هذا الصياد بشبكته فى قطرة ماء كى يصطاد الأسماك ؟!

دعنا يا أبتاه نحدق فى وجه الواقع

ننظر كيف توزع أرزاق الناس

ولماذا يثرى البعض ويفتقر الجمهور

حدثنا لا عن ملكوت منتظر بعد الموت

بل عن كيفية تدبير الأرض

الأنبــــــا : كلمات تافهة لاتعنى الا بالمادة

لا تهتم سوى بالجسد الفانى

والدين يريد الجــوهر والحق الكامن فى قلب

الأشياء

ها انت تعيشين الواقع

وغدا تلقين الموت بلا شك

حينئذ يعلم كل منا من كان على حق

راهب : **(هامسا لزميل له)** أسمعت ؟! يقول غدا تلقين الموت

آخر : هذا ما أكده ايليا فى خطبته صبح اليوم

(بينما تقف هيباشا والأنبا يحدق كل منهما فى الآخر صامتا برهة . بعدها ينصرف الأنبا بخطوات متثاقلة يتبعه رهبانه)

مونيو : هذا تهديد واضح

هيباشا : **(ارامون)** لا لا .. تلك مبارزة فكرية

كيمالوس هذا وقضيته شيء واحد

ولهذا هو يرفض أن يتصور راهبة تزنى

مونيو : **(ارامون)** بل هو رجل يمقت كل الناس

فقد ابنة أخت فى أيام الفوضى

فانطلق يعادى الدنيا ، ويريد الناس جميعا أن تفعل مثله

رزق : **(غاضبا)** الزم حدك ياسيد

هيباشا : **(لنفسها)** ماذا ؟! فقد ابنة اخت فى أيام الفوضى ؟!

ســــــــالم : **(لمونيو)** أن .. نقف بجانبكم لا يعنى أن تنقد أنت رجال الدين

مونيــــــــو : **(معاندا)** وجميل وصف جماعتنا بالكفرة ؟!

رامـــــون : ليس الأنبا يا مونيو من أطلق هذا الوصف علينا بل هم بعض الرهبان الشبان بطيش منهم

(ومحولا الدفة بمهارة) لكنا الآن أمام التهـديد بقتل الأستاذة فترانا نفعل ماذا يا أخوة

ســــــــالم : **(متراجعا عن غضبه)** سوف نؤمنها .. هذا واجبنا

وأنا أدعوها أن تنزل عند امرأتى ضيفة

رزق : وأنا .. عندى متسع فى بيتى لو شاءت

رامـــــون : **(مرتاحا)** كنت ومازلت أراكم يا مصريون عظاما

مونيــــــــو : **(لنفسه مكتئبا)** كل الناس عظام الا مونيو التعس الأشقى

هيباشـــــا : **(لسالم)** ستحدثنى الليلة تفصيليا

عن ابنة أخت الأنبا المفقودة

ســــــــالم : تلك القصة تعرفها امرأتى خيرا منى

(رامون تنتابه رعدة مفاجئة فيقترب منه سالم مشفقا)

هل يؤلمك البرد الى هذى الدرجة ؟!

رامـــــون : صرت عجوزا ياسيد سالم

(هيباشا تخلع عباءتها عن كتفيها وتلفه بها)

قد يحسبنى الناس امرأة فى هذا الزى

هياشـــــا : كنت أظنك أرقى من بعض الحمقى

أتمايز بين الجنسين وأنت الأستاذ الكاتب ؟

(مونيو يفكر فى الرد عليها لكنه يتراجع بينما تخرج هى مع سالم ورزق)

رامـــــون : **(لمونيو مندهشا)** لم أسمعك تحدثها وكذلك هى لم تنظر نحوك مرة

مونيـــــو : أعلم أن حياة المرء الخاصة ليس لأحد أن يتدخل فيها

رامـــــون : هذا حق .. لكن ماذا تقصد بكلامك هذا ؟

مونيـــــو : يبدو أنى أخطأت بحق زميلتنا هذى يا رامون

رامـــــون : **(يتأمله)** تعنى .. حين استمعت أذنك لحديث أبيها عنها ؟

لكنك لم تتعمد أن تسمع

(مونيو يهز رأسه موافقا)

ولأنك أنت زميل وأمين فالســـر ســـيبقى عندك سرا

مونيـــــو : وا أسفاه

رامـــــون : **(مشدوها)** بحت به ؟! انطق .. ولمن بحت به يا هذا ؟!

مونيـــــــو : لصديقتها ميلانى (**رامون يخبط راسه بقبضة يده متوجما**) نحن تشاجرنا فذهبت أنا لصـــديقتها أشكو همى فـــ . . .

رامـــــون : (**مقاطعا**) يالمصيبتنا ! ميلانى ؟!

أو لا تعلم أن المرأة هذى أسوأ من ابليس وان لبست فى بعض الأحيان ثياب ملاك

مونيـــــــو : كيف . . وهيباشا لم تذكرها قط بسوء ؟!

رامـــــون : هيباشا مثلك صادقة فهى تصدق أن الناس كما يبدون

مونيـــــــو : (**يرتجف بشدة**) هل يمكن أن تستخدم ميلانى هذا السر لتضربها ؟!

رامـــــون : ولماذا لا ؟! ماذا يمنعها ؟!

مونيـــــــو : فلنتحدث نحن الى هيباشا كى تأخذ منها الحذر الواجب

(**يسمع صوت انفجار شديد**)

ما هذا الصوت المرعب ؟

رامـــــون : صوت الصفر

(**ترى ألسنة نار تعلو وسحب دخان ترتفع فى الأفق**)

مونيـــــــو : نيران تعلو فوق مبانينا ؟! من أشعلها ؟!

رامـــــون : (**بيأس**) أوراق البردى سوف تكون طعاما للنار

مونيـــــو : وكذلك لوحة هيبا

هيا يا رامون لننقذها

رامـــون : قدمى يأكلها النمل كما لو كانت شلت

مونيـــــو : هيا يا رامون ولا تقتلنى حزنا

(فيتحرك رامون معه وهو يكاد يسقط اعياء)

اظـــــلام

المشـــهد الـــرابع

الجامعة يلفها الظلام الا من ضوء النجوم الخافت

ومرة اخرى تندلع ألسنة من لهب تحاور الرياح

تسمع أصوات صرخات وتأوهات ، وأشـــباح ترى فى زى الرهبان تعدو هنا وهناك والكل فى حالة هياج شديد

شـــبح : القينا كل النفط على تلك الآلة فازدادت جوعا

ثــــان : أنظر كيف يفر أساتذة الجامعة كفئران الحقل

ثـــالث : لكن أين المرأة ؟

الاول : لم تظهر بين الفارين الى الآن

الثـــالث : اين اذن ذهبت ؟

احراق المكتبة يظل بلا معنى ان لم ترنا فى زى الرهبان

الأول : دعنا ننصرف الآن والا ضعنا

قد تمسكنا الشرطة وهى بلا شك قادمة بعد قليل
حينئذ تنكشف الخطة

وتبرؤ ساحة رهبان القبط

الثـــــانى : لن تدركنا الشرطة

ولسوف توزع تهمة اشعال النار

بين الرهبان وبين الآلـة

(مونيو يقتحم المكان وهو يعدو لاهثا صائحا بهم)

مونيـــــــو : قف يا مجرم

الأول : **(للثانى)** ضع سكينك فى رقبته ولنهرب فورا

(فيطعنه الشبح تاركا اياه مضرجا فى دمائه بينما يهرب الثلاثة مســـــرعين ـــ يتأوه مونيو وهو يحتضر)

مونيـــــــو : أدركنى يا رامون ..

رامــــــون : **(وقد وصل ينحنى عليه لهوفا ويحاول ان يوقف النزيف بالعباءة)**

من طعنك يا مونيو من ؟

مونيـــــــو : تلك مكيدة .. الرهبان .. **(لكنه يموت قبل أن ينطق)**

رامــــــون : **(متطوحا مرتعبا فتأخذ الريح عباءته بعيدا)**

آه يامونيو .. خنت وما كان بطبعك غدر متأصل
والآن قتلت وكنت تريد الاســــراع لتنقذ لوحة
هيباشا فأنا سأحاول أن اســتخلصها من تلك
النار لأجلك

(ويتقدم نحو النار الى أن يختفى بداخلها بينما يظهر الوالى اورينت ومعه رجال الشرطة فيصرخ فى اثر رامون)

اورينــــت : قف يا هذا .. ماذا تقصد بدخلك فى النار ؟!
لن يجرؤ احد منا ان ينجيك اذا لم تتوقف

شـــرطى : **(مشيرا الى جثة مونيو)** هذا رجــل مقتــول يامولاى

اورينــــت : دعنا الآن من المقتول وهيا نبحث فى أمر الأحياء
هل شاهد أحد منكم هيباشا الأستاذة ؟

شـــرطى : **(عائدا من تجواله فى المـكان حـاملا العباءة الحمراء)** انظر هذى يامولاى آثار دماء ساخنة تملأها

اورينــــت : تلك عباءة هيباشا

كانت تلتف بها عند المدفن

آه .. قتلوها ! واحزناه !

(يظهر بومباس اولا ثم يتلوه الامبراطور)

بومبــــاس : قتلوا من ؟

اورينـــــت : هيباشا الاستاذة يا بومباس

بومبـــــاس : (**لنفسه**) احسن جدا

اورينـــــت : اقســم انى سأحاكمهم من اصغرهم حتى اكبر قس فيهم

شـــرطى : ها هى ذى قد جاءت عربات الماء

(**ولزميل له**) ضع هذى الجثة فى احدى العربات

(فى خلفية المشهد تظهر صفائح المياه يمسك بها رجال يقتربون من النار وهم يصيحون ، والحارس بومباس يعود الى الامبراطور الذى كان قد وقف بعيدا عن اورينت ، فيهمس له الحارس)

بومبـــــاس : منذ قليل قتلت ميلانى فى قصر الحاكم

حسبت ان تغريني كي اتآمر ضدك

الامبراطـــور : (**مدعيا الآسف**) كانت تختبر ولاءك يا متهور

بومبـــــاس : (**عابسا**) مثلى لا يفهم فى تلك الالعاب

الامبراطـــور : طبعا لا تفهم الا فى قتل الناس

بومبـــــاس : احسن أم لا ؟

الامبراطـــور : احسن جدا .. لكن ماذا ستقول الشرطة ؟

بومبـــــاس : ستقول القاتل مجهول

الامبراطـــور : (**مشيرا خفية الى اورينت**) هل شعر بشىء ؟

بومبـــــاس : لا .. كان يغط ويصدر اصـــواتا مثل الرعد بمنخاريه

الامبراطــور : ذلك رجل لا يصلح للحكم بتلك المرحلة الحرجة

بومبـــــاس : عندى لك نبأ آخر . يبدو أن الأســتاذة ماتت محترقة

الامبراطــور : (**يبدو باردا**) ضلع كسر بهذا البلد الملعون

لم يبق سوى ضلع الانبا

لكنى لن المسه بل اتركه ليهود القابال الشرسين

تلك زيارتنا السرية حققت الفوضى

فانتعشت كل عناصرها

ولسوف اعيد الآن التنظيم كما اتشهى

مر ضباطك ان يجتمعوا للسفر الآن

اما أنت فتبقى لتمثلنى

ستكون الوالى بدلا من أورينت

فتعال لأختم أمر توليك وأمر اقالته فورا

وتذكر انك منذ الآن سياسى محترف لا سـيف يضرب عشواء

بومبـــــاس : (**متحمسا**) طبعا سأسير على نهجك يا إستاذى

(وينسحبان ، بينما يدخل شرطيان يمســكان بتلابيب ايليا يوسفانه ضربا وركلا واحدهما يقول لأورينت)

الشـــرطى : راقبنا هذا المجرم حسب اوامركم

فرأيناه يقود الرهبان لاشعال النار

الآخـــــر : ورايناه يحدث هارون طبيب القصر صباحا ويأخذ مظروفا منه

الأول : وقبيل العصر رايناه وفى يده المظروف فسار به للأنبا

ومضى بعد زيارته ينشر بين الرهبان المهتاجين كلمات تعنى أن الأنبا بعد استلهام الرب يسوع قد اهدر دم هيباشا الأستاذة

اورينـــــت : **(يتمتم لنفســه مفكرا)** هارون وهذا المجرم ؟ هارون وميلانى .. ميلانى والامبراطور !

بعض التفكير ونعرف من قتل الصياد ومن كانت راهبة الكوخ

(ولايليا) ما صلتك بطبيبى هارون ؟ تكلم

ايليـــــا : كنت احدثه كى اقنعه ان يتنصر

اورينـــــت : يتنصر ؟! **(ويلطمه على وجهه بشدة)** تسخر منى يا كلب ؟!

ساعذبك نكرا ما لم تكشف لى عن سر المظروف

ايليـــــا : هو مكتوب حملنيه ليون الراحل للأنبا شخصيا

وانا لا اعرف ما فيه

اورينـــــت : **(يصفعه ثانية)** تكذب لا شك

ولسوف اقطع لحمك اربا واغذيك باشلائك كى تتكلم

(**وللشرطيين**) جراه الى دار الحبس الى ان افرغ له فأنا مشغول بتفقد باقى الأبنية الناجية من النار

(واذ يمضى ايليا بين الشرطيين يدخل جمع من الأهالى من الجانب الأيسر بينهم هيباشا وسالم ورزق فيصيح أورينت فرحا)

أورينـــت : هيباشا حية ؟! ما أسعدنى !

ايليـــا : (**لنفسه وهو يخرج**) لن تسعد حين ترى

ما يفعله الرهبان بها فى الغد

هيباشـــا : (**تنادى أورينت**) أين تراهم زملائى يا أورينت ؟

اورينـــت : (**وهو يتبعد محزونا**) مونيو مات قتيلا

واظن النار التهمت رامون المســكين (**ويختفى خلف الأبنية المحترقة**) .

هيباشـــا : فليتفجر قلبى بالحزن ولكن ليس الآن

ولتنتظرى ياحسرات الى ان افرغ لمسامرتك

ولقد ابقى معك طوال العمر اطارحك انينا بأنين لكنى استأذنك قليلا حتى تنطفأ النار

فأنا لا ابصر الا سحب دخان تملأ عينى الباكيتين

(من بعيد يبدو راهون محتضنا اللوحة محاولا الا يراه احد الى ان يختفى)

رزق : الآن ستنشغل حكومتنا فى حادثة الاحراق ولن تلتفت الى مقتل خله

ســـــــالم : ظنى ان القاتل احد الرهبان تنكر فى زى الاعرابى

رزق : أيا كان فلن تمسكه ابدا

(وبياس كامل) هاهو ذا يتسرب من أيدينا مثل الرزق ومثل حقوق الناس

هيباشـــــا : لا .. لن يفلت هذا القاتل بجريمته

الآن وقد كشـف الناس جريمة احراق الجامعة بايدى الرهبان

اعد بأن يخضع كيمالوس للتحقيق ولن يتستر بعد على احد او شىء ولهذا سوف احرر مكتوبا للبابا فى روما .. الآن وفورا

(وتسـرع بالخروج بينما يعود بومباس وخلفه ضابط اضخم منه)

بومبـــــاس : يا بنت الافعى .. مازلت تعيشين ؟!

الضـــــابط : هل ارميها بالحربة يامولاى ؟

بومبـــــاس : لا ياثور .. فالآن رئيسك صار سياسيا

لابد لعقلى ان يتروى

هذى المراة سوف تموت ولكن ليس بايدينا

وكذلك اورينت وايليا .. ولقد يلحق بهم الانبا نفسه

اما كيف سيحدث هذا ، فرهين بدهائى وحدى
(واورينت يعود فيتقدم منه بومباس بخيلاء)

صدر اليوم المرسوم الامبراطورى بتنحيتك

ولقد عينت مكانك فى حكم البلدة هذى

واظنك سوف تشرفنا هذى الليلة فى دار الحبس

اورينـــت : دار الحبس ؟! لماذا ؟! ما التهمة ؟!

بومبـــاس : نتحدث عنها فيما بعد

اورينـــت : تلك مخالفة واضحة للقانون الرومانى

بومبـــاس : (**باستهانة**) قانون .. طوارىء .. هيا

(فيدفع الضابط الضخم اورينت بالحربة فى ظهره خـــارجا به بينما يواجه بومباس الأهالى وقد تجمعوا بعد خمود النار)

بومبـــاس : يا قوم .. عزل الامبراطـــور الوالى أورينت ونصبنى بدلا منه والآن اصيخوا لى

ارايتم ماذا فعلت بكم الأستاذة ؟

وزق : (**مستفزا**) ماذا فعلت ياسيد ؟!

بومبـــاس : قتلت بيض الأسماك بآلتها المنفجرة

ســــالم : اى هراء هذا ؟!

بومبـــاس : البحر الآن ملىء بالسم

ولقد أصدرت قرارا يمنع صيد الأسماك

كى لا ينتقل السم الى امعاء الناس

ســــالم : هل يعقل هذا ؟!

بومبـــــــاس : ولماذا لا تعقله ياسيد ؟!

ســـــــــالم : كيف يلوث ماء البحر دخان محدود ؟!

بومبـــــــاس : **(لنفسه)** يسالنى كيف .. وكأنا فى مجلس علم أو ندوة !

سأريه الآن دهاء سياسى لم تنجبه امراة من قبل

(ولسالم) هذا ليس دخانا عاديا ياسيد

بل هو سم مجنون يخترق مياه البحر ويتكاثر فيها هو من فعل الآلة وهى نتاج الشيطان

(وللجمع) هل ابصر أحد منكم صندوقا يتحرك ذاتيا ؟!

ينفث من فمه صوتا مثل الرعد

الجمـــــــع : لا .. اطلاقا .. لا يحصل ابدا

بومبـــــــاس : تلك الآلة حين اشتغلت أحرقت المكتبة الكبرى وبخار الماء الشيطانى تسلل حتى افســـــد ماء البحر وسمم بيض الأسماك

ســـــــــالم : **(صائحا)** لست أصدق طبعا .. من قال بهذا ؟!

بومبـــــــاس : قال به علماء الأحياء المائية

(وللجمع بصفاقة) هل يمكن أن يخدعنا العلماء

الجمـــــــع : طبعا لا .. لا يمكن .. العلماء هم العلماء

صـــــــياد : **(صارخا)** يعنى ضعنا .. من أين اذن اجلب قوت عيالى ؟!

الآخــــــــر : **(لاطما على وجهه)** يعنى سنموت من الجوع

بومبـــــــاس : لا تتشائم .. فحكومتنا ســـتحاول تطهير البحر بلاشك

ذلك أنا نبدأ دوما بالبنيات التحتية

رجــــــــل : ومتى سيتم التطهير الكامل يامولاى ؟

بومبـــــــاس : سيتم خلال الأعوام القادمة الخمسة

الصـــــــياد : **(لاطما على وجهه)** يعنى ضعنا

الآخــــــــر : نطلب رأس المتسبب

بومبـــــــاس : **(لنفسه بغرور وســـعادة)** تلك هى الفوضى المحترمة

لا ألعاب الامبراطور المحدودة

(وملتفتا الى الرجل قائلا برصانة)

الدولة ليست تقتل علماء الجامعة ولو غلطوا

هذا قانون أصدره الكونجرس

ولدينا محكمة لا تتردد فى عزل الوالى لو حاد عن القانون **(وبلؤم)** لكن الناس .. أعنى الناس هنا أحرار بالطبع

الرجـــــــل : فلنقتلها نحن

بومبـــــــاس : **(وهو ينصرف)** لم أسمع قولك يا هذا

هل قلت نسامحها ؟! حسنا سامحها وتوكل

واجلس فى دارك حتى يتطهر ماء البحر **(ويخرج مسرورا)**

الرجـــل : يعنى ماذا ؟

الآخـــر : معناه .. ان الوالى هذا لن يحميها منا

الرجـــل : مادام الأمر كذلك .. فالموت لقاتلة الأسماك

الجمـــع : الموت لقاتلة الأسماك

ســـالم : ياناس .. ياناس انتظروا

تلك المرأة تتصدى للقتلة من أجلكم

الرجـــل : **(هاتفا كالزعيم)** الموت لقاتلة الأسماك

رزق : يا قوم انتظروا .. لنفكر فى الأمر بغير هياج

ســـالم : ياناس

(لكن أصوات الجمع تعلو صوتيهما كموج البحر)

ســـتار

الفصــل الثــالث

المشــــهد الأول

الجانب الأيسر . زنزانة فى دار الحبس مظلمة تماما

يفتح الباب فيظهر شبح رجل راقد فى احد الاركان

يدخل بومباس يلقى بسيف على الأرض

بومبـــــاس : خذ هذا السيف ودافع عن نفسك

فالآن سيأتى احد السجناء وفى يده سيف يبغى قتلك

احدكما ــ اعنى الفائز ــ قد امنحه العفو

تقليد رومانى نحييه الليلة

(ويجذب الرجل الواقف خلفه دافعـــا به الى

الداخل فى عنف ومغلقا الباب على السـجينين فتسود الظلمة المكان ثانية تسمع اصوات انفاس السجينين وكل منهما يبحث عن الآخر فى الظلام وبين الحين والحين يصطدم السـيفان وترتفع الحشرجات واللعنات

ضوء قمرى ضعيف بدأ يتسلل من خلال النافذة الضـيقة بأعلى الزنزانة فيرى كل منهما الآخر صاحبه ويشهقان معا)

اورينــت : من ؟! انت ؟! ايليا المجرم ؟!

ايليــا : اورينت ارى ؟! وسجينا فى نفس الليلة ؟!

لكن كيف ؟! ومن السجان اذن

اورينــت : السجان هو الوالى بومباس

عينه الامبراطور مكانى فأتى بى معتقلا دون جريرة

ايليــا : (**يضحك بشدة**) دون جريرة ؟!

مازلت تراهن يا أورينت على معيار البـاطل والحق ؟!

(**وبمرح**) ها انت الآن زميلى فى الحبس تعامل كيهودى منبوذ

اورينــت : (**مصعوقا**) ايهودى انت ؟!

ايليــا : كل الناس يهود حتى لو لم يعترفوا

اورينــت : هذا تفسير لعلاقتك الغامضة بهارون طبيبى

ايليـــــا : وعلاقة هارون الغامضة بميلانى

اورينـــــت : ميـــلانى ؟! هى راهبـــة الـــكوخ اذن ؟! هى والامبراطور الداعر

ايليـــــا : هل تدهشك حقيقة كونك زوجا مخدوعا ؟!

اورينـــــت : (متماسكا) يدهشنى اكثر انك تكشف لى عن نفسك دون تحفظ

ايليـــــا : ولماذا اتحفظ معك وانت الليلة مقتول مثلى

لكنى لست حزينا بل مسرورا فى الواقع

فلقد بدات ثورتنا وستنجح

عندئذ نفرض نحن تفوقنـــا .. نحن الجنس الأسمى

اورينـــــت : معتوه واهم

ايليـــــا : قد اشعلنا النار بمكتبة الاسكندر

وابتعنا بابا روما بهدايا لم يشهدها من قبل

ورمينا كيمالوس فى مأساة ستحطمه تحطيما

وستقتل أنت هنا

وستقتل زوجة هذا الامبراطور العابث فى بيزنطة

عندئذ تعلو ميلانى — وهى صنيعتنا — عرش الدولة

ولأنا نحكم هذى المراة

فسنحكم نحن العالم عبر جنون السلطة فى دمها
دارت عجلتنا وستبلغ قمة غايتها فى الغد

اوريـنـــت : دارت عجلتكم لكن لن تبلغ الا سـفح الهاوية الفاغرة الفم ولتعلم يا هذا الأحمق ان الحامية الرومانية تعرف كيف تعامل من يتمرد

ايليـــا : تستهدف ازعاجى ؟!

اوريـنـــت : **(ساخرا)** بينما تستهدف انت العكس

ان تذهب للموت كما يذهب انسان للنوم اليس كذلك ؟!

ايليـــا : الموت مصير الأحياء جميعا

لكن لموتى ثمنا يجعلنى أرقى من غيرى

اوريـنـــت : **(مندهشا)** او تحسب نفسـك حقا ارقى من غيرك ؟!

ايليـــا : كيهودى طبعا

اوريـنـــت : بالغدر وبالارهاب ؟!

ايليـــا : **(باستهانة)** حالة حرب تسـتخدم فيها كل الأسلحة المشروعة واللامشروعة

اوريـنـــت : **(صائحا)** ما الهدف من الحرب اذن ؟!

ماذا يستهدف تنظيمكم الفاجر ؟!

ايليـــا : **(بفحيح فى وجهه)** أن يعترف العالم بتفوقنا

اوريـنـــت : **(صائحا اعلى)** ولماذا أنتم بالذات ؟!

ايليـــــــا : سل حرف الألف ولا تسألنى

اورينـــت : ما حرف الألف عليك اللعنة ؟!

ايليـــــــا : حرف الألف لدينا يعنى ايلى

رب الحرب ورب الجند اله القسوة والجبروت

من وضع العين علينا فعبدناه ورضناه

ثم غدونا نحن كتيبته المنضبطة

فى حرب ضد الكفار السفلة

اورينـــت : اتذرع بالصبر واسأل من هم ؟

من تقصد بالكفار السفلة ؟

ايليـــــــا : من لا يعترفون برب الجند

هم عباد الكسل ، نيام الليل المنتظرون الموت على افرشة أسرتهم

طلاب سلام الضعفاء، المذعورون من الحرب المحبوبة

اورينـــت : اتحب الحرب الى حد الغزل الفاضح هذا ؟!

ايليـــــــا : طبعا ! فتصور ماذا يصبح هذا العالم دون حروب تنتخب الأقوى والأصلح !

سيصير العالم مرعى أبقار أو مستنقع ديدان

اورينـــت : مجنون أنت بلا شك ،

ذلك أنك حين تفجر حربا دائمة ،

سيحاربك الناس بكل مكان

ايليـــــــا : (صارخا فى نشوة) بالضبط

وبهذا يصـــبح كل الناس يهودا لا بالدين ولكن بالتبعية

بتبنى تلك النزعة للاستعلاء

تلك النزعة كامنة فى كل الناس

لكن رياء فلاســــفة الاصـــلاح وأوهام الأدباء تحاصرها

خذ نفسك مثلا

حين اقول امامك انى الأرقى كيهودى

ستقول بل الأرقى الاغريق وسوف يقاتل كل منا الآخر

ونسوف يقول الرومان « بل الأقوى نحن » و .. نتقاتل

حتى الأعراب البدو اذا اعتنقوا دينا بكرا فى الغد سيقولون اتبعنا أو فمصيرك نار جهنم

لكن حين تصير القوة فى أيديهم

سيقولون اتبعنا أو تقتل

ولسوف نقاتلهم نحن ونفنيهم

كل الناس اذن ترقص يا أورينت على موسيقى

نحن الشعب المختار عزفناها

(وينفجر مقهقها فى سرور فيقترب منه أورينت وقد ازداد القمر سطوعا)

أورينـــــت : آراء فجة .. ولهذا لست أناقشها

لكن دعنى أسألك سؤالا عمليا يا ايليا

مادمت ترانا مقتولين بلا أمل فى الغد

فلماذا لا نتكاشف عن احداث الليلة ؟

ايليـــــــا : تقصد كى نتسلى ؟! لم لا ؟! فلنتكاشف دون حيــــاء

أورينـــــت : قل لى .. ما سر المظروف وماذا فيه وممن هو ولمن ؟

ايليـــــــا : **(ينظر اليه بلؤم وتوجس)** أعطانيه ليون قبيل وفاته

أورينـــــت : ليون

ايليـــــــا : **(متلذذا بالكذب)** لأسلمه للأنبا كيمالوس

أما ما فيه .. آه

فيه ظلام روحى سيحل بعقل الأنبا وســـيقتله كمدا

أورينـــــت : هل .. هل يتعلق بالأستاذة هيباشا ؟

ايليـــــــا : طبعا .. فالمرأة فى الواقع ابنة أخته

أورينـــــت : ماذا ؟! ماذا قلت ؟!

ايليـــــــا : هيباشا كانت طفلته بعد وفاة الأبوين

لكن تاهت منه ووجدتها امرأة ليون العاقر فتبنتها بالتعاسة كيمالوس حين ستقتل هيباشا

حين يرى المظروف ويقرأ ما فيه ويعــــرف من هيباشا

فاذا قال الرهبان السذج نحن قتلناها يامولانا بأوامرك الربانية

حطمه قولهمو تحطيما

أورينـــــت : (**يصرخ فزعا**) كيمالوس أمر بقتل ابنة أخته ؟!

ايليـــــــا : هو لم يصدر أمرا بالقتل صريحا

لكنى حرفت حديثا القاه الرجل أمام الرهبان

ولقد فهموا من تأويلى أن الدين أحل لهم دمها

أورينـــــت : (**بأمل شاحب**) لكنك سلمت المظروف اليه وقد يقرأه الليلة قبل وقوع المأساة

ايليـــــــا : (**يضحك كالشيطان**) المظروف هنا بين ثيابى واللحم

موهت عليك لأنك كنت الحاكم

وبحكم صداقتك لهيباشا كنت ستأخذه منى،

لتسلمه اياها كى تتصالح والأنبا

كنت أفكر فى كسب الوقت وكان من الممكن أن تأمر شرطتك بتفتيشى

لكن ساعدنى الحظ فظهرت هيباشا

فتوجهت اليها أنت وأهملت التفتيش

أورينـــــت : **(يحاول ان يتماسك)** والآن وأنت سجين تنتظر الاعدام

كيف سترسل هذا المظروف الى كيمالوس ؟

ايليـــــــا : ساعة اعدامى سوف أسلمه للجلاد

وسوف يسلمه الجلاد الى الوالى

والوالى سوف يكون ســـــعيدا جدا اذ يتحطم كيمالوس

أورينـــــت : أهملت الفرض بأنى قد

اقتلك وآخذ منك المظروف

ايليـــــــا : أنت عجوز جدا كى تقتلنى يا أورينت

أورينـــــت : **(لم يعد يحتمل)** فارفع ســـيفك فسأقتلك الآن وأحمى العالم من شرك

(وتدور مبارزة اخرى حينئذ يفتح الباب ويدخل الضابط الضخم ومعه رامون والطبيب هارون وبيد كل منهما سيف)

الضـــــــابط : هيا اشتركا فى هذا الحفل

والمنتصران ينالان العفو غدا فى حفل التنصيب **(ويخرج مغلقا الباب على الأربعة)**

ايليـــــــا : **(لهارون)** يزعم هذا الكافر أورينت

ان الثورة فشلت

هـــــارون : **(لاهثا)** لم يكذب يا ايليا

فلقد قتلت ميلانى وتفرق عنا الأعوان بكل مكان

وأنا نفسى .. قبض على وكنت أعد العدة كى أهرب

أوريـــــت : أرايت اذن يا ايليا ؟! (**وبسعادة غامرة يقول**) قتلت ميلانى الخائنة حليفتكم

أخبرتك أن العجلة دارت لكن نحو السفح

(**ولهارون**) كنت أظنك أذكى من أن تتورط فى هذى اللعبة يا هارون

ايليـــــا : دعك من الرد عليه وهيا نتحدث فى هذة الركن (**ويمضيان بعيدا**)

أوريـــــت : (**لراموون**) يزعم هذا المجرم ايليا أن ليون الراحل ليس أبا هيياشا

رامـــــون : (**محدقا فيه وهو يرتعش**) أورينت الحـــــاكم محبوس ؟! كيف ؟!

ما أغرب هذا !

أوريـــــت : هذى أيام ليس لأحد أن يدهش فيها .

رامـــــون : (**يائسا**) فلماذا تدهش من قول المجوم ايليا ؟

أوريـــــت : يعنى هو لا يكذب ؟!

رامـــــون : (**باعياء متزايد**) محتمل جدا أن صديقتنا هيياشا هى ذات الطفلة هو فرض لا يمكننا أن نتجاهله يا أورينت

أوريـــــت : يزعم هذا المجرم أيضا أن ليون الراحل

سلمه مظروفا يشرح فيه القصة للأنبا

رامـــــون : كان ليون يفكر أن يعترف لها

لكنى لا أعلم شيئا عن موضوع المظروف

اوريـــــت : فلنتنح بهذا الركن فلا يسمعنا هذان الاثنان
(وكان ايليا وهارون قد عادا من ركنهما)

ايليـــــا : والآن علينا أن نفعل شيئا يخرجنا من مأزقنا

هـــارون : يمكننا أن ننتصر على هذين الهرمين بكل سهولة

ايليـــــا : يمكننا طبعا .. لكن ماذا بعد تخلصنا منهم ؟!

لاشك سيعدمنا هذا الوالى

ويقول اقتتل الأربعة فماتوا

هيا هيا لنفكر فى حل آخـــر **(ويأخذ بذراعه مبتعدا)**

اوريـــــت : **(لرامون وقد عادا للمقدمة)** والمسكينة هيباشا أين تراها الآن ؟

رامون : لم يرها أحد منا وكذلك لم تأت الى القبو السرى

اوريـــــت : ما هذا القبو السرى ؟!

رامون : ملجأنا نحن الفيثاغوريين اذا ما ضاق بنا ظهر الأرض فيه طعام وشراب يكفينا أعواما

وتماثيل ولوحات وكذلك برديات نادرة نتعلم منها

اوريـــــت : **(بدهشة)** وأنا من كان الوالى لا أعلم شيئا عن هذا ؟!

رامـــــون : ولعلك ما كنت لتعلم أبدا

لولا أنك مقتول مثلى الليلة

اوريـــــت : **(مفكرا)** ليس ضروريا أن نقتل يا رامون

موقفنا — رغم صعوبته — فيه عناصر ايجابية

وال مغرور وغشيم

والضابط — تابعه — اكثر منه غرورا

قصدا ان ينتهيا من اربعة رجال اعداء

دون سؤال من محكمة او قانون

ايليـــــــا : **(من بعيد يناديه)** هل انت على نفس الخط معى يا أورينت ؟

أورينـــــت : أعرف تفكيرك

ايليـــــــا : وتوافقنى

أورينـــــت : مضطرا

ايليـــــــا : حلف لا ننقضه ؟

أورينـــــت : حتى نخرج من هذا السجن ونعبر باب القمر الى الصحراء

ايليـــــــا : **(هامسا لهارون)** لن نقتل هذين الوغدين الى أن نعبر باب القمر كما قال

(ولأورينت) كم عدد الحراس بهذا السجن ؟

أورينـــــت : خمسة حراس غير الضابط

فاذا ساعدنا الحظ فصلنا ما بينهمو بالحيلة

نحن سنتبارز نصرخ ونجن قتالا مصطنعا

ثم يصيح اثنان صياح النصر

بينا يتحشرج منا اثنان بأنات الموت
ولقد يأتى البعض منالحراس يشاهدنا
عندئذ نجتمع عليه ونقتله
وكذلك نقتل باقى الحراس تباعا

ايليـــــــا : كنت ومازلت ذكيا

هـــارون : **(صائحا بلوعة)** ليتك كنت يهوديا

(وتبدأ المبارزة الثنائية الى أن يصيح ايليا وهارون بفـــرحة مدعاة ، بينما أورينت ورامون يدعيان الصراخ والحشرجة)

ايليـــــــا : نحن قتلنا الكلبين الوثنيين

هـــارون : هيا حررنا يامولانا الطيب

ايليـــــــا : انجز وعدك يامولانا

هـــارون : وعد الحر الصادق دين فى رقبته

(مزلاج الباب يرفع ويدخل الضابط الضخم ومعه احد الحراس فينقض عليهما الرجال الأربعـــة بسيوفهم فيصرعونهما فى الحال)

ايليـــــــا : هيا .. لنشق طريقا للخارج ياسادة

(ويخرجون مع انفجار الرعد)

اظـــــــلام

المشـــــهد الثـــــانى

الجانب الأيمن . وشمعة واحدة تضىء ملجأ الأساتذة تحت الأرض . تسمع دقات أربع قادمة من اعلى فيهرع الأستاذ بولونيوس صاعدا سلما حجريا الى فتحة فى السقف يحرك بابها معاونا رامون الذى يهبط فى حالة اعياء شديدة

بولونيوس : عدت بغير البرديات كما قدرت أنا !

رامــــــون : آه لو تعلم يا بولونيوس

لكأن الدنيا تتمزق اربا فالناس يفرون من الموت الى الموت

جثث وسجون وحرائق وفرار وخيانات

اتصدق ان يتحالف أورينت الحاكم ويهوديان معى ثم على ؟!

بولونيوس : ما اغرب هذا ! كيف واين ؟!

رامــــــون : فى الســـــجن

فنحن اخذنا للسجن بما فينا أورينت المعزول

وهناك رأينا أن نتحالف كى نهرب

لكن .. حين رأونى أرتعد من الحمى

تركونى عند الباب وفروا عنى وكأنى كلب أجرب

بولونيوس : جسمك يرتعش من الحمى فاجلس وأشرب هذا الماء

رامـــــون : ما يحزننى انى عدت اليكم احمل صفرا بين يدى

بولونيوس : يكفى أنك انقذت اللوحة من قبل

رامـــــون : انقذت اللوحة لكن لم أسع لأنقذ صاحبة اللوحة

هيباشــــا : **(آتية من الداخل)** ها آنذى مازلت أعيش

رامـــــون : **(صارخا بفرح)** ما أسعدنى .. ما أسعدنى حقا بوجودك حية !

هيباشــــا : **(بوجه جامد)** أسعيد أنت بموت الأحباب وتخريب ثقافتنا

بولونيوس : يا هيباشا .. هذا قدر لسنا نملك أن نوقفه

فلنرض بهذا الملجأ نعكف فيه على درس الأعداد القدسية

هيباشــــا : لا .. لن تبعث هذى الأعداد الموتى

لكن البحث العلمى سيمسك بتلابيب القتلة

اول خيط .. اجبار الأنبا كى يعترف على راهبة الكوخ حينئذ نعرف من قتل الصياد ومن القانا فى محرقة الليلة

رامـــــون : آن لهيباشا أن تعرف من كيمالوس

هيباشــــا : **(تلتفت اليه بوجه صـــارم)** من كيمالوس يا رامون ؟!

هل هو خالى ؟!

رامـــــون : (**لبولونيوس**) هل بحث لها ؟! بقرار منفـــرد منك ؟!

بولونيوس : لا لا .. لم اتكلم معها اطلاقا فى هذا الشأن

رامـــــون : حدثك اذن والدك المرحوم ؟!

هيباشـــــا : أنت اذن تعلم ؟!

حتى هذى اللحظة كنت أخمن لكن لا أتيقن

كنت أقول لنفسى عل ليون العالم كان يحاورنى كى يختبر ولائى لثقافته

وأنا حين عرفت حكاية كيمالوس من زوجة سالم قلت لنفسى حتى لو كان الأنبا خالى

فلسوف يظل ليون أبى ويظل الآخر مفتربا عنى اذ لا يقدر أن يمنح الا الأقباط أبوته

رامـــــون : (**مرتعدا**) تلك القصة ليســـت الا تخمينا أو ترجيحا !

هيباشـــــا : ولهذا ليس أمامى الا أن أتقابل والأنبا وجها فى وجه

رامـــــون : لن نسمح أبدا بخروجك

هيباشـــــا : لن يجبرنى أحد أن ابقى

رامـــــون : بل يجبرك الغوغاء المنتظرون هنالك بالخارج

هيباشـــــا : ما للغوغاء وشأنى ؟!

رامـــــون : مطلوب راسك للغوغاء

قيل لهم « آلتك هى المسئولة عن اشعال النار »
قيل لهم « ان دخان الآلة سمم فى البحر الأسماك»

هياشـــــا : (**مشدوهة**) قيل لهم هذا ممن ؟!

رامـــــون : من بومباس .. فلقد صار المتوحش هذا حاكم مصر

هياشـــــا : وهل صدقه الشعب ؟!

رامـــــون : (**مستهزا**) مطلوب راسك أيضا للرهبان

فلقد حرف ايليا قولا للأنبا .. تحريفا جعل دماءك
حلا لهمو

هياشـــــا : الآن تجمعت الأعداء لتخنق صوت العقل

رعد الطغيان وبرق الكهان ومطر الغوغاء

وتريد لمثـــلى ان تتعفن فى هذا الجب الى ان
تصبح شمطاء جهولا ؟

بولونيوس : (**ببرجماتية**) دعها تخرج يا رامون

فلقد يقتنع الأنبا ببراءتها ونبالتها فيخذل عنـــا
السلطة ويهدىء من فوران الشعب الغاضب

حينئذ قد نخرج ثانية للشمس

رامـــــون : (**يقبض على يديها بقوة رغم ارتعاد جســـده**)
لن تخرج يا بولونيوس ابنتنا هذى رمز حى للعقل
الأسمى

بينما كل الناس عبيد غرائزهم

ديدان تسعى وثعابين وحيات

وذئاب وصراصير تعربد فيما بين الضوء الكاذب والظل الزائف

والكل سكارى لا تطربهم الا أوتار الشهوات

السلطة والجنس

حب الشهرة والصيت الزاعق

المال وحرص المرء على ان يبقى حتى لو هلك الكل الغضب الجارف اذ يتحيز للأفكار الشخصية

افكار لو لبست ثوب الدين لصارت سيلا من لهب ، يتكور فى أعينهم شمسا خادعة

تتشكل تحت اشعتها أعينهم

فلتبتعدى عن هذى الشمس الشريرة ياهيباشا

واستترى معنا بظلام الملجأ

هيباشـــا : (**بغموض**) تعنى أن الأعداء هنالك بالخارج ؟ بين الجهلاء فحسب ؟!

رامـــون : أو لم يكن الامبراطور حبيب صباك وكان النحرير العالم ؟!

كيف اذن صار عدوك ؟!

أو لم يكشف مونيو ــ هذا الفنان الرائع ــ سرك للعاهر ميلانى ؟!

أو لم يتخل صديقك أورينت الفاضل عنك ؟!

هيباشـــــــا : وهنا بالداخل من ؟! الشجعان بلا حد ؟! من مثلا ؟! أنت ؟! أو لم تنقذ أنت اللوحة لكن لم تسـع لانقاذى ؟!

أهو ليون العالم ؟! من حرم رضيعا من أسرته أيا كان التبرير ؟!

أصديقى بولونيوس هذا ؟! من يخشى أن ينبؤنى بحقيقة أصلى ؟!

بولونيوس : غاضبة أنت علينا ولك الحق قليلا

رامـــــــون : يا هيباشا .. نحن على أية حال أفضل من ...

هيباشـــــــا : **(توقفه)** أو لا تعلم أنى امرأة تحلم بالحب وبالزو ج وبالأطفال

فلمن أنتسب ومن من أهلى سيقدمنى لشـريك حياتى ؟

رامـــــــون : أو لسنا أهلك يا هيبا ؟!

هيباشـــــــا : **(جامدة الوجه)** لا يا رامون فأهلى المصريون وان ظلموا أنفسهم

أهلى المصريون المسروقة أرزاقهمو

والمسروقة أعمارهمو

والمسروقة منهم حتى الأطفال

بولونيوس : دعها تخرج يا رامون

فنداء دماها أقوى من دعوات ثقافتنا

رامــــــــون : (مترنحا) أنسلم للعنصر والعرق بديلا عن آفاق الانسان الرحبة ؟!

أين طبيب الملجأ يا بولونيوس ؟

بولونيوس : بالداخل ســــــهران طول الليل على الزمــلاء المجروحين

هل آخذك اليه ؟

رامــــــــون : (يمضى مترنحا) بل سأسير اليه على قدمى

بولونيوس : هاهو ذا الفجرتلوح بشائره

يمكنك اذن أن تمضى يا هيباشا

لكن دون عداء

هيباشــــــا : (ترق فجأة) طبعا يا بولونيوس . .

طبعا دون عداء

(وتصعد السلم الى فتحة السقف دون أن تلتفت)

اظــــــلام

المشـــــهد الثــــالث

الجانب الأيسر .

فجرا والأمطار توقفت وظهر هلال آخر الليل

المنظر عبارة عن طـــــريق ترابى فى نهايته بوابة يقف بها حارسان وبينهما مصباح زيتى تخبو شعلته تدريجيا

اصوات كلاب تتبادل فيما بينها النباح

يتقدم أورينت ومعه ايليا وقد تبادلا ثوبيهما ووراءهما هارون

أورينــــت : ها نحن نطل على باب القمر فما قولك ؟

ايليــــا : عرضك هذا يؤلمنى جدا

أورينــــت : اماهذا .. أو يرجع للسجن ثلاثتنا

هــــارون : (**بلؤم**) ولماذا لا تهرب معنا من هذا الباب ؟

أو لا تعلم أن الموت وراءك ان عدت ؟!

أورينــــت : وأمامى أيضا أن نحن عبرنا البوابة

حينئذ سأكون قتيلكما دون مراء

هــــارون : (**يائسا**) فليأخذ هذا المظـــروف الملعون ودعنا نرحل يا ايليا

أورينــــت : نحن فريقان بسلسلة واحدة اما أن نفصـــلها بشروطى أو نختنق بها كالبلهاء الحمقى

ايليــــا : (**متحسسا صدره**) انك ان تأخذه منى فكأنك تقطع لحمى

أورينــــت : ثمن الحرية يا وغد

ايليــــا : (**متــأوها**) ثمن فـــادح ! أو لم يكفك ثوبى الكهنوتى ؟!

أورينــــت : أعرف أنك ستجن لأنك لن تجنى ثمرة خطتــك الشيطانية لكن — ومقابل هذا — سوف تمر من البوابة دون مشاكل

ايليـــــــا : هل أنت على ثقة أن المسئول عن البوابة يعرف من أنت ؟

أورينـــــت : هل يجهل جندى قائده يا هذا
هو من أعطيت صباحا سر الليل

هـــــارون : لكن ماذا لو أن المسئول عن البوابة أبلغ أمس بعزلك ؟!

أورينـــــت : عندئذ سنعود جميعا للسجن وهذا حد مغامرة الليلة

هـــــارون : واذا أنت أخذت المظـــروف وابلغت علينا نحن الاثنين ؟!

ايليـــــــا : لا .. فالرجل ذكى لماح يعلم أنا فى هذى الحالة سنبلغ نحن المسئول نبأ العزل
سنطالبه أن يتحفظ — يا أورينت — علينا حتى يتأكد وسيتأكد بالطبع
تفهمنى يا أورينت بلا شك
اصبع كلمنا بين نيوب الآخر

أورينـــــت : لاشك ، فهات المظروف وسيرا خلفى

ايليـــــــا : **(وهو يناوله المظروف)** سيفى فى ظهرك ايضا

أورينـــــت : سيرا خلفى دون كلام

(وحين يقتربون من البوابة يصرخ فيهم جندى الحراسة)

الجنـــــدى : قف من أنت ؟

اورينـــــت : الوالى اورينت

الجنـــــدى : كلمة سر الليل

اورينـــــت : الاسكندر

الجنـــــدى : فلتتقدم يامولاى (**ولنفسه مندهشا**) لكن ما هذا الزى ؟!

اورينـــــت : أين زميلاك ؟

الجنـــــدى : هاهو ذا احدهما فوق التبة بنفير الانذار أما الآخر فيطوف وراء السور

اورينـــــت : احسنتم

(**وملتفتا الى ايليا**) يعنى لا يملك احد ان ينفرد بهذا الجندى

هــــارون : اجراءات الأمن تثير الاعجاب ولكن هيا اخرجنا

ايليــــــا : (**هامسا بتحذير**) دون مشاكل يا اورينت

اورينـــــت : (**للجندى**) سيمر الآن صـــديقاى فابلغ هذا الطواف بألا يعترض طريقهما

الجنـــــدى : أمرك يا مولاى (**ويعطى اشارة بالمصباح**)

ايليــــــا : (**لأورينت وهو يعبر البوابة**) مازلت اراك ذكيا

يا اورينت اخترت الموت على هذا الجـــانب كى يمدحك الشعراء

هــــارون : (**وهو يعبر**) ليتك كنت يهوديا

اورينـــــت : **(مناديا)** يا ايليا .. كيف لمثلك أن يفهم معنى الباعث ؟!

(ويستدير عائدا للمدينة)

اظـــــــلام

المشـــــهد الأخــــير

المسرح كله مضاء بشمس الصباح

الجانب الايمن يمثل جانبا من كنيســــــة القديس مرقص على الميناء الشرقى فى آخرها تمثال للعذراء وشمعة موقدة

والجانب الأيسر يمثل ساحل البحر حيث نرى اورينت فى الثوب الكهنوتى قادما يتلفت حواليه باحتراس

فجاة يرى هيباشا قادمة من الجانب الآخر تعدو ووراءها جمع من الغوغاء يصيحون ويسبون

رجـــــل : هاهى ذى القاتلة الملعونة

آخـــــــر : قاتلة الأسماك مسممة البحر

ثـــــالث : انتظرى يا بنت الكافر

رابــــــع : فلنسحلها سحلا

(يسرع أورينت فيدفع بها داخل الكنيسة مواجها الجمع)

اورينـــــت : ان يجرؤ أحد منكم أن يمسسها

الأول : ولماذا لا ؟

الثـــــانى : بل نجرؤ طبعا ولسوف ترى

الرابـــــع : لكن من أنت وما شأنك ؟

اورينـــــت : انى .. انى مندوب من بابا روما

أرسلنى لأهدىء ثورتكم ياقوم

الثـــــالث : **(مرتبكا)** بابا روما ؟! لكن ليس لبابا روما سلطان ينهى فينا أو يأمر

اورينـــــت : **(بصوت يحاول ان يجعله خاشعا)** ثمة سلطان يسوع يا ولدى

الثـــــالث : **(مرتبكا اكثر)** سلطان يسوع ؟!

اورينـــــت : مادمت مسيحيا فيقينا تعلم ان بيوت الرب لها حرمتها

(يتبادل الغوغاء النظرات حائرين ، فيسـرع اورينت قائلا للثالث)

اذهب يا ولدى للأنبا كيمالوس الورع الطاهر

قل لنيافته ان امرأة مسكينة

تعتصم الآن ببيت الرب ومعها مندوب البابا

ناشده بحق يسوع أن يأتينا فى الحال .

الأول : **(متداولا مع زملائه)** ما رايك ؟ ماذا نفعل ؟

الثـــــالث : الأنبا معتكف فلقد بدأ الصوم صباح اليوم

الثــــــانى : فلنذهب للرهبان الشبان اذن

الرابـــــع : أنت محق فهم الأولى بمعالجة الموقف

(فينصرف الجمع ويبقى اثنان يراقبان الباب بينما يدخل اورينت الكنيسة)

اورينـــــت : ميلانى هى راهبة الكوخ وهذا قول بالنسبة لى لا يدحض

ولقد قتلت بالأمس وليس مهما أن نعرف قاتلها الآن .

أما من أحـــرق جامعتـــك فيهود القـــابال وليس الرهبان القبط

هيباشـــــا : **(تترنح مذهولة)** أنت تزلزلنى .. ولكن كيف ؟

اورينـــــت : ليس لدينا وقت لمناقشة الكيفية

لكنى جئت اليك بهذا المكتوب الهام ففيه نجاتك هو مكتوب يثبت انك ابنة اخت الأنبا كيمالوس فاذا ما قرىء عليه بلا شك يضعك تحت حمايته

هيباشـــــا : أعلم أن الانبا خالى لـــــكن .. من كاتب هذى الورقة ؟

اورينـــــت : ليون بنفسه

هيباشـــــا : **(تخطف الورقة تحدق فيها بلهفة ثم بدهشـــة)**
ليون بنفسه ؟! لكن لا .. هذا الخط غريب عنى ليس يمت لخط ليون بأدنى صلة يا أورينت

اورينـــــت : ماذا ؟! واثقة انت ؟!

هياشــــــا : هل يجهل احد خط معلمه الاول ؟!

اورينـــــت : (**يتمشى مفكرا**) الآن بامكانى ان اتصور ماحدث كأنى كنت لديهم

هذا من تدبير الملعونة ميلانى امراتى وعشـــيقة زينوس

ولأسباب لا نعرفها قتل الامبراطور الصـــــياد وكانت ميلانى معه

كانت غائبة حين تغيب أيضــــا وقت الظهــر الأمبراطور

هياشــــــا : حين سالتك انكرت خروج المجرم

اورينـــــت : كنت أحاذر الا انظر فى وجه الموت

هياشــــــا : أما الآن فسوف تعضدنى حين أطالب بالتحقيق

اروينـــــت : امراح فى موطن جد ؟! انى الآن ســـــجين فار مطلوب راسه

ضاعت هذى الفرصة يا هيبا

لكنى .. تامرت بهذا الراس لكى انقذك من الموت من اجلك انت اتيت وليس لأجل الصياد الميت

هياشــــــا : (**ملتاعة**) ياالضـــياعى ! كيف أكون على ثقة من شىء بعد الآن ؟!

برقت حادثة الصياد بعقلى واضحة فى لحظة

ثم انداحت لا ادرى كيف

فأخذت اوجه كل سهامى للأنبا المسكين الى أن
صار عدوى
وكذلك أصبحت عدوته .. وا أسفاه !

اورينـــت : الأنبا ليس عدوك بل هو خالك يا هيبا
انت بنفسك صرحت بهذا
لكن امراتى ويهود القـــابال أرادوا أن يقتلك الرهبان
فاخترعوا تعليمات زعموا أن الأنبا أصدرها
فاذا انت قتلت
كان بتدبيرهمو دس المكتوب الزائف هذا للأنبا
كى يتحطم بعدك
فدعينا نتخذ مكيدتهم كأداة فى أيدينا نحن

هيباشـــا : ما هدفك من تعريضك راسك للخطر لأجلى ؟

اورينـــت : لا ادرى .. لكن هو شىء أطلقت عليه انا اسم الباعث
(**ومشجعا**) سنقدم هذا المكتوب لكيمالوس كى يحميك من الغوغاء

هيباشـــا : (**بقوة**) لا

اورينـــت : (**مشدوها**) ولماذا لا ؟!

هيباشـــا : لن اكذب يا اورينت لأنقذ نفسى

اورينـــت : أين الكذب بكونك ابنة أخت الأنبا فعلا ؟!

هياشـــا : تلك الورقة لم يكتبها ليون الراحل

ولهذا .. لن استخدمها أبدا

اورينـــت : **(صائحا)** أو ليس المضمون حقيقيا ؟!

أو ليس استخدامك اياها رغم التزوير يشكل صدقا بالمضمون ؟!

هياشـــا : أصبحت اشك كثيرا فى حدسى يا أورينت

(ومنفجرة) من يدرينى انى بعد سنين أكتشف بنفسى مضمونا آخر ثم يضيع المضمون الآخر فى مضمون مستتر ثالث

آه .. انى اتآكل يا أورينت بداخل نفسى

اورينـــت : **(يهزها بشدة)** لن أدعك يا هياشا لخواطرك العدمية

اعرف انك متعبة واذا ران التعب عليك اتاك الموت

هياشـــا : ولمن احيا يا أورينت ؟! لمن احيا ؟!

اورينـــت : تحيين لنفسك طبعا

هياشـــا : هل احيى نفسى بالتزوير فأصبح صفرا فى كتب الحق ؟!

اورينـــت : **(يصرخ فيها)** عيشى للناس اذن واحيى آمالهم ومصالحهم

هياشـــا : كيف وقد ضاع الصـــياد وهاك الناس يريدون مماتى يا اورينت ؟!

اورينـــت : ضللهم هذا الحاكم من ناحية ، والكهنة من ناحية اخرى لكنن لو عشت لهم ستكونين البطلة

من ينتظرون شروق الشمس بطلعتها

هياشـــا : الناس اذا انتظروا بطلا ليحارب حربهمو بدلا منهم سقطوا فى هاوية التضليل وظلوا اغناما تنتظر الذبح

(وتضع الورقة فوق الشـــمعة فتحترق يحاول اورينت ان يستخلصها عبثا فيصرخ فى هياشا يائسا)

اورينـــت : أنت تريدين الموت اذن ؟!

حسنا .. لكنى لم ألق بنفسى للتهلكة لأجل امرأة تطلب أن تهلك

الآن أرحت ضميرى ووفيت لحق صداقتنا

فلى الحق اذن أن اسعى كى انقذ نفسى

هياشـــا : وأنا اتمنى لك ان تنجح

اورينـــت : **(وهو يخرج خابطا كفا بكف)** لا افهم اسبابك يا هياشا لا افهم اسبابك

هياشـــا : **(بصوت خافت ترد عليه وكان قد خرج)**

الباعث اقوى مما تتصور يا اورينت

ان لم ينقذنى اهلى فلمن احيا وبمن ؟!

(صمت تام مريب . تتوجه هى الى تمثال العذراء تحدثه)

اسمى مريم .. مثل اسمك يا سيدتى

وانا ايضا مثل ابنك ياسيدتى اخترت صليبى

وها آنذى سأموت كما مات بلا ذنب

لكن هو قام من الموت بأمر أبيه فمن يحيينى ان مت انا ؟!

(تتحول الى النــــافذة هاتفــة فى لوعة)

آه يا خالى لن ادعوك لتأتى كى تأخذنى فصيامك أولى بك منى

أعرف أنك كنت تحدق فى وتسأل عن سنى

كى تخرق احجبة الواقع عنك وعنى

لكنى لم افتح عينى ،

ولم أر هذا الجرح الغائر تحت جفون الوسن ،
لم ألق بنفسى بين ذراعيك الظامئتين فضاعت فرصتنا

لم ألثم وجهك وأناديك بيا أبتاه فضاعت فرصتنا
آه .. رغم خلاف الدين فأنت أبى
وبلادك يا مولاى بلادى

والشعب الغاضب منى .. هم نسبى لكن ضاعت

فرصتنا

كيف اذن ادعوك لكى تعرفنى بخطاب .. ؟

زوره عدوك وعدوى ؟!

اذكر قولك « ان تعثرك العين فلا تتردد واقلعها »
وانا عثرتنى نفسى من ثم فليس مناص من أن
اقلعها

(**وبامل مفاجىء تتساءل**) اشعر بك تتحرك حولى
.. هل جئت ؟!

ماذا ؟! ماذا قلت ؟!

(**وفجاة تبكى كالطفلة**) لكنى اخشى الموت كما
كنت صغيرة

اخشى هذا الشـــبح الأســـود يجثم فوق الرئة
ويخنقنى

فلماذا لا تنقذنى يا خالى ؟!

(**وتتجمد فى مكانها هامسة**) ثلج يهبط فى بدنى
ويجمدنى

ثلج يذبحنى مثل الشاة وثلج يركلنى فى وجهى
ثلج يسحلنى فى طرقات مدينتنا عارية وممزقة
النهدين

واخيرا ثلج يترفق بى فيذوب على خدى دموعا
ساخنة فتطهرنى

(وتمســـح دموعها متوجهة الى تمثال العذراء تركع امامها لحظة الى ان تسمع اصوات الجموع الغاضبة والقادمة من بعيد تهدد وتزمجر بعضها يصرخ بالموت لقاتلة الأسماك وبعضـــــها يهتف ((فلنسحلها ســـحلا)) عندئذ تنهض من ركوعها قائلة للعذراء)

قولى لهمو ياسيدتى يا أم الناس

ان جميع الناس

آباء او اعمام او اخوال .. لجميع الناس

(وتتوجه بجلال الى باب الخروج)

ســــــتار

صـدر للشاعر :

- **سفينة نوح الضائعة** — مسرحية — المجلس الأعلى للفنون والآداب — ١٩٦٤
- **الحلم الطروادى** — مسرحية — دار لوران — ١٩٦٦
- **الدين والفن** — نقد — دار النهضة العربية — ١٩٦٨
- **الملك لير** — مسرحية شعرية — دار الوادى — ١٩٧٨
- **ريم على الدم** — مسرحية شعرية — دار الوادى — ١٩٨٠
- **السلطانة هند** — مسرحية شعرية — اتحاد الكتاب المصريين ١٩٨٥
- **غيط العنب** — مسرحية — الهيئة العامة للكتاب — ١٩٨٥
- **ليلة زفاف الكترا** — مسرحية شعرية — الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧

- **امتحان أحمد بن حنبل** ــ شعر ــ المركز القومى للفنون ١٩٨٧
- **غيلان الدمشقى(*)** ــ مسرحية شعرية ــ ــ الهيئة العامة للكتاب ــ ١٩٩٠
- **حصان على صهوة رجل** ــ شعر ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤
- **يا أورفيوس** ــ شعر ــ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦
- **مقتل هيپاشا الجميلة** ــ مسرحية شعرية ــ الهيئة العامة للكتاب ــ ١٩٩٦

(*) جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٢ .

صدر من هذه السلسلة

١٩٨٦

● الانسان يصعد من جديد ، لا تسدلوا الستار ، الحقيقة عارية جدا	عزت الأمير
● بشر الحافى يخرج من الجحيم	عبد الغفار مكاوى
● الثلاث ورقات	رافت الدويرى
● ثم يخضر الشجر . (ثلاث مسرحيات شعرية)	عبده بدوى
● حكم شهرزاد	عزت الأمير
● الرجل الذى اكل الوزة	جمال عبد المقصود
● الكداب ومسرحيات اخرى	رشاد رشدى
● محاكمة رجل مجهول	عز الدين اسماعيل

١٩٨٧

● ابو نضارة	محمد ابو العلا السلامونى
● الأجلاف ينصبون المشانق	عبد اللطيف دربالة
● الأوله آه	محمد الباجى

● الأيام الصعبة	سعد مكاوى
● سقراط فى المدينة	حامد ابراهيم
● العرائس	صلاح عبد السيد
● العطش ، عروس الجنوب	عادل موسى
● غريب فى بلبيس ، ابو زيد فارس بنى هلال	عادل موسى
● اللص ، العيد وراء الكواليس، تحويشة العمر	محمد سالم
● ليلة زفاف الكترا	مهدى بندق
● ما حدث لليهودى التائه	يسرى الجندى
● المجنون والحب	صلاح المعداوى
● المدار	محمد قطب عبد العال

١٩٨٨

● الابناء	احمد سخسوخ
● احتفالية بنى شعب	امين بكير
● الآرانب	لطفى الخولى
● ازمة شرف	ليلى عبد الباسط
● بروفة للجريمة	محمد سالم
● الجزاء ، الزفاف ومسرحيات اخرى	صلاح راتب
● جمال الصيف	سوريال عبد الملك

المسرحية	المؤلف
● الخماسين	احمد شمس الدين الحجاجى
● الصياد	انس داود
● عالم كورة كورة	جمال عبد المقصود
● عشرة على باب الوزير	فتحى سلامة
● الثيران	احمد الطاهر
● فلح وسلاطين	سمير عبد الباقى
● كليلة ودمنة وبعد	ناهد نائلة نجيب
● المبعوث	مصطفى ابو النصر
● المثقفون او آخر الأجيال	سعد زهران
● المجنونة	نسيم مجلى
● مرعى الغزلان	محمود نسيم
● ورق .. ورق ، ثمن الغربة	ليلى عبد الباسط

١٩٨٩

المسرحية	المؤلف
● البين بين	فتحية العسال
● ثلاث مسرحيات كوميدية (الهبرة ، عليوة ماركة مسجلة ، شقة مفروشة)	صلاح راتب
● جاءوا الينا غرقى	محمود ابو دومة
● الخروج ومسرحيات اخرى	عبد اللطيف دربالة
● من المجنون او غرفة رقم ٧	عبد الجبار ابو غربية
● الهدية	سعد مكاوى

١٩٩٠

المسرحية	المؤلف
● احزان السيد مكرر	نهاد شريف
● احلام السنين	فاطمة السيد

المسرحية	المؤلف
● البحــــر	انس داود
● حتى صاح الديك	امـين بكـير
● الطلسم ليلة نادرة	امـير سـلامة
● على ورق الخوخ	فتحى سـلامة
● غيــلان الدمشــقى	مهـدى بنـدق
● كفر التنهـدات	رافت الدويرى
● كله عايز يتجوز صلوحه	ابراهيم حمـادة
● ليلة عرس الأقوياء	عبد اللطيف دربالة
● المحــاكمة	يسـرى الجنـدى
● المـــزرعة	أبو العلا السلامونى

١٩٩١

المسرحية	المؤلف
● محاكمة الدكتور سيف	حسـن سـعد
● المكـــوك	يوسـف العـانى
٦١ ــ البترول طلع فى بيتنا	على سـالم
٦٢ ــ الآلهة غضبى	بهيج اسـماعيل
٦٣ ــ موضـوع ماجدة	يحيى عبد الله
٦٤ ــ على الزيبق	يسـرى الجنـدى
٦٥ ــ حلم ليلة حرب	محمد أبو العلا السلامونى
٦٦ ــ انهم ياكلون الهامبورجر ، محاكمة زنجى ابيض	بهيج اسـماعيل
٦٧ ــ نرجو الانتباه !	محمـد المرسى
٦٨ ــ تغريبة مصرية :	
١ ــ ست الحسـن	محمد أبو العلا السلامونى
٦٩ ــ سـقوط اثينا	حـامد ابراهيم

٧٠ ـ بدائع الفهلوان فى وقائع الأزمان :	
١ ـ خيول النيل	رافت الدويرى
٧١ ـ الجدار .. واللبلاب	محمد صدقى
٧٢ ـ ناس النهر	حجاج حسن ادول
٧٣ ـ سميراميس والانفصال	شوقى عبد الحكيم
٧٤ ـ الشجرة والصعود الى الشمس	وفاء وجدى
٧٥ ـ أولاد الغضب والحب	كرم النجار
٧٦ ـ يا آل عبس	صلاح عبد السيد
٧٧ ـ دكاترة وسباكين	عزت الأمير
٧٨ ـ اللعنة من فوق المنبر	عبد الغنى داود
٧٩ ـ الزهرة والجنزير	محمد سلماوى
٨٠ ـ مات الملك	وليد يوسف
٨١ ـ كرسى الحكومة	السيد الشوربجى
٨٢ ـ المقامة الفجرية	فاروق اوهان
٨٣ ـ الأنوف ومسرحيات مونودراما اخرى	امين بكير
٨٤ ـ حفل لتتويج الدهشة	وليد منير
٨٥ ـ العدو فى غرف النوم	هشام السلامونى
٨٦ ـ امسية عاشقين	نعيم عطية
٨٧ ـ قالت بسمة ، هواية الاستماع المنفرد	يحيى عبد الله
٨٨ ـ عشاق فوق العادة ، طائر الفرات الحزين	عبد اللطيف دربالة
٨٩ ـ شكسبير ملكا	رافت الدويرى

٩٠ — الفجرى ، بقبقان سليط اللسان — بهيج اسماعيل
٩١ — التماثيل تنتحر — فوزية مهران
٩٢ — العادلون ، الشعلة — محمد سليمان
٩٣ — المليم باربعة — محمد ابو العلا السلامونى
٩٤ — رجال ومشاعل — حمدى عباس
٩٥ — المخربشين — خيرى شلبى
٩٦ — ملك عجوز — شوقى عبد الحكيم
٩٧ — تأشيرة خروج — نادية البنهاوى
محاكمة المغنى — اسماعيل عقاب
٩٨ — الأراجوز — سليم كتشنر
٩٩ — الوهج ومسرحيات أخرى — نادية البنهاوى
١٠٠ — عقول للبيع — فتحى سلامة

تطلب هذه السلسلة من :

● باعة الصحف ● مكتبات الهيئة ● معارض الكتاب بداخل مصر والخارج
● المعرض الدائم للكتاب ● مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والاقاليم

رقم الايداع ١٩٩٦/٧٠٩٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4851 — 2

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب